الأَمِيرَةُ الْمُقَدَّسَةُ

من روائع قصص الأدب العربي الواقعية

قصة: حسين المرهون

محفوظة جميع الحقوق

* الهوية: قصة أدبية تاريخية واقعية.
* الكتاب: الأميرة المقدسة.

---

* الناشر : بقية الله للإنتاج الإعلامي.
* البريد الألكتروني: **bq.a.12@hotmail.com**.

---

* المؤلف: حسين المزهون.
* تلغرام: **@alzainaby14**

---

* حقوق الطبع: محفوظة للمؤلف.
* إيداع الكتاب: تم إيداعه في دار الكتب والوثائق ببغداد
* الوزارة: وزارة الثقافة العراقية.
* رقم الإيداع: ٢٣١٣، لسنة ٢٠١٧ ميلادية.
* سنة الطبع: ١٤٣٩ هجرية قمرية - ٢٠١٨ ميلادية.

الأَمِيرَةُ الْمُقَدَّسَةُ

من روائع قصص الأدب العربي الواقعية

قصة: حسين المرهون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾

ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾

مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾

صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالمينَ حَمْداً كَثِيْراً كَمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَصَلِّ اللهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ كَمَا أَنْتَ أَهْلُهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِم أَجْمَعِيْن

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

سورة ابراهيم آية ٢٤-٢٥

«اللهُمَّ كُنْ لِوَلِيِّكَ الـحُجَّةِ بنِ الـحَسَنِ، صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ، فِي هَذِهِ الـسَّاعَةِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ، وَلِيّاً وَحَافِظاً، وَقَائِداً وَنَاصِراً، وَدَلِيلاً وَعَيْناً، حَتَّى تُسْكِنَهُ أَرْضَكَ طَوْعاً، وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلاً، وَهَبْ لَنَا رَأْفَتَهُ وَرَحْمَتَهُ، وَعَوْنَهُ وَدُعَاءَهُ وَخَيْرَهُ، مَا نَنَالُ بِهِ سَعَةً مِنْ فَضْلِكَ وَفَوْزاً عِنْدَكَ يَا كَرِيمُ،

بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»

يا مولاي يَا صاحبَ العصرِ و الزمانِ عَجّل اللهُ فَرَجَكَ الشرِيف، بدموع أمِّكَ السيدة الزهراءِ عليها السلام وبناتها وَكنَّاتها الطاهرات عليهن السلام، وَبدموع أبنائها الأئمة الطاهرين عليهم السلام، سدِّدني وَوفقني

الإهدَاءُ إلى خَمْسَةِ أَحِبَّةٍ

إلى مَـنْ كَانَـتْ وَلا زَالَـتْ تَحُوطُنـي بِرِعَايَتِهـا فِي مَهْجَـرِي وَغُرْبَتـي، مَـنْ يُؤْنِسُـنِي ذِكْرُهَـا، فَتَنْسَـابُ دُموعـي لأجلِهـا فتُسَـلِّيْنِيْ، مَـنْ تَأخـذُ بِيـدِي عِنْـدَ سَـقَطَاتِي فَتَرفعُنـي ،إلى مَـنْ أوْدَعَنِـي وَالِـدي عِنْدَهَـا فَأصْبَحْـتُ وَدِيعَـةً مِـنْ ودَائِعِهـا، فَكُنـتُ آنَـسُ بِمُخَاطَبَتِهـا: يَـا أمـاه، وَنِعْـمَ الأمُّ كَانـت..

إلى سَيدَتِي ومَولاتِي «زينب الكبرى» عليها السلام.

وَإلى مَـنْ كَفَلَتْنِـي فَأحْسَـنَتِ الكَفَالـة، مَـنْ أجَـأُ إليهـا طَارِحَـاً هُمُومـي وَغُمومـي فَتجلّيهـا وَتُضَمّـد جِرَاحَـاتي، مَـنْ عرفْـتُ شيئًا مِـنْ عَظَمَتِهـا حَقِيقَـةً وَوِجْدَانـاً ،فصْدَّقـتْ أسـطرَ القَصَـصِ والرِوَايـات، مَـنْ كَانـت مُلْهِمَتِـي، فَامْتَزَجَـتْ حُـرُوفي بدَمْعِـي، إذ كَتَبْـتُ مُعْظَـمَ كلِـماتِ هـذه القِصَّـةِ في حَرَمِهـا الـمَـقَدَّسِ..

إلى سَيدَتِي وَمَولاتِي «فاطمة الـمعصومة» عليها السلام.

وَإلى مَـنْ أنْجَبَتْنِـي وَولَدَتْنِـي، وَصَـبَرَتْ عـليَّ وَرَبَّتْنِـي، حَمَلَتْنِـي صَغِـيراً، وَتَحَمَّلَتْنِـي كَبِـيراً، مَـنْ تَحَـدَّتْ بِعُنْفُوَانِهـا جِبَـالَ البَـلاَءَاتِ، فَلَـمْ تَنْهَـدّ وَلَمْ تَنْثَلِـمْ، فَتَعَلَّمـتُ مِنْهـا مَعَـانِي الصَّـبرِ وَالصُّمـودِ أمـامَ عواصـفِ الرِّيـاحِ..

إلى جَبَلِ الشُّموخِ أمي وحَبِيبَتي «أم خضر».

وَإلى ظـلِّ الله فـوقَ رأسي، إلى غَيْمَـةِ الرَّحْمـةِ، وَخَيْمَـةِ الـحِكْمَةِ، وَبَيـتِ الوقـارِ وَالجَـلالِ، إلى مَـنْ عَـاشَ يَتِيـماً فِي صِغَـرِه، مَكْروبَـاً بِوِلْـدِهِ فِي كِـبَرِهِ، راضيـاً بقضَـاء الله وقـدَرِه..

إلى والدي وَحبيبي «أبي خضر».

وَإلى مَـنْ لم يغـادرني، وَمـا نَـزَحَ عـن روحـي، إلى غَايتـي وَمُنْيَتِـي، وَمـن لـه حيـاتي، مَـنْ حـالَ بَينِـي وَبينَـهُ قِـصَرُ همّتـي، وَكَثْـرَةُ سَـقَطَاتِي، إلى مَـنْ ذِكْـرُهُ بلسـمُ آهـاتي، وَدواءُ جِرَاحَـاتي..

إلى سَيدي وَمَولاي «صَاحِبِ العَصْرِ وَالزَّمَانِ»
عَجَّلَ اللهُ فَرَجَهُ الشَرِيف.

الفصل الأول

عجباً لقصَّةِ حُبٍّ بَيْنَ قدِّيسَيْنِ تُغَيِّرُ مَجْرى الحياةِ، فنُصبحُ نَحْنُ - أَنَا وأنْتَ - مَغْرَزاً صغيراً مِنْ نَسيجِ حِكَايَتِهَا.

قِصَّةُ وادٍ أسْمَى مِنْ قِصَّةِ عِشْقِ زُلَيْخَا ليُوسُفَ، وَرُغْمَ أنَّهَا مُسْتَجْلَبَةٌ مِنَ التَّاريخِ، إلاَّ أنَّ آثارَهَا لم تُمْحَ، فَبِعِقْدِ جُمَانِ ذاكَ الغَرَامِ أَذِنَ اللهُ بانعقادِ أحداثِ مستقبلٍ لا زالَ الناسُ يتنبؤونَ بِوُقوعِهِ، بَلْ عَلَيْهِم يَكُونُ جَرَيَانُهُ.[1]

الأميرةُ المقدَّسةُ هيَ روايةُ حبٍ واقعيةٌ، لا زالتْ تَمُوُّجَاتُهَا تؤَثِّرُ في حَيَاةِ كثيرين.

هي ابنةُ يَشُوعَا ابنِ قيصرِ الرُّومِ، وَأُمُّهَا مِنْ وُلْدِ الحواريينَ وَتُنْسَبُ إلى وصيِّ المسيحِ شَمْعُونَ، ألقاهَا غَرَامُهَا[2] الملائِكِيُّ إلى أنْ تَهْجُرَ قُصُورَ الملوكِ، فتغامرَ

(١) لن تفهم قصد الكاتب إلا إذا قرأت كامل القصة.

(٢) الغرام: هو الحب الثابت اللازم الذي لا يغيره شيء، وهنا وصف حقيقي لحب الاميرة المقدسة لحبيبها عليه السلام.

وَتَتَكَبَّدَ الـمشَاقَّ لأجلِ لِقَاءِ حبيبٍ .

فهَلْ سَمِعْتَ بِحُبٍّ دَفعَ ابْنَةَ مَلِكٍ إلى سُوقِ النَّخَّاسِينَ[1] لتبيعَ نَفْسَهَا كَجَارِيةٍ مِنْ أجْلِ حَبيبها؟!

إنَّها قِصَّةُ الأميرةِ الرُّوميَّةِ التي ارْتَفَعَتْ إلى رُتبةِ الصِّدِّيقِينَ، فَأصبحتْ مُقَدَّسةً عِنْدَ مئاتِ الملايينِ مِنَ المسلمينَ الشيعةِ، يتوسلونَ بِهَا، وَيُهْدُونَ النُّذُورَ باسمِهَا، وَيبنونَ فَوْقَ قَبْرِهَا وَقبرِ حبيبها قبةً منْ ذَهَبٍ..

فما سِرُّ قَدَاسَتِهَا؟

وَمَا التَّفَاصِيلُ المُذهلةُ في قِصَّتِهَا؟

وَكَيْفَ لها أنْ تُؤثِّرَ عَليَّ وَعَلَيْكَ؟!

كَيْفَ لروايةٍ تاريخيةٍ أن تضعَ حَجَرَ المُستقبلِ، فتصْنعَ الآتي مِنَ الأيامِ؟!

(١) السوق الذي يباع فيه العبيد في الأزمنة السابقة.

وَسَقَطَتِ الـهُدْنَةُ (هُجُومُ الرُّومِ)

انْهَارَتِ الـهُدْنَةُ الَّتِي اسْتَمَرَّتْ عِشْرِينَ سَنَةً بَيْنَ الدَّوْلَةِ العَبَّاسِيَّةِ وَالإِمْبَرَاطُورِيَّةِ البِيزَنْطِيَّةِ الرُّومِيَّةِ[1]، بَعْدَ أَنْ هَاجَمَ تُوفِيلُ بنُ مِيخَائِيلَ الثَّانِي[2] إِمْبَرِاطُورُ الرُّومِ آنَذَاكَ بِجَيْشٍ ضَخْمٍ يُقَارِبُ عَدِيدُهُ مِائَةَ أَلْفٍ أَطْرَافَ الدَّوْلَةِ العَبَّاسِيَّةِ[3] مُسْتَغِلاً انْشِغَالَهَا بِصِرَاعَاتِهَا الدَّاخِلِيَّةِ[4].

فَغَضِبَ الخَلِيفَةُ المُعْتَصِمُ وَثَارَتْ حَمِيَّتُهُ فَجَمَعَ قَادَتَهُ وَقَرَّرَ الِانْتِقَامَ وَسَأَلَهُمْ: أَيُّ بِلَادِ الرُّومِ أَمْنَعُ وَأَحْصَنُ؟ فَقِيلَ: عَمُّورِيَّةَ، لَمْ يَعْرِضْ لَهَا أَحَدٌ مِنَ المُسْلِمِينَ مُنْذُ كَانَ الإِسْلَامُ، وَهِيَ عَيْنُ النَّصْرَانِيَّةِ وَبَنْكُهَا[5]،

---

(١) انهارت الهدنة سنة ٢٢٢هـ / ٨٣٧م.

(٢) الذي حكم فيما بين (٢١٤هـ - ٢٢٧هـ) الموافق(٨٢٩ م -٨٤٢ م) وَيسمى في المصادر الاجنبية بالقيصر ثيوفيلوس.

(٣) تاريخ الطبري ج٧ ص ٣٦٣. وتمت الاغارة على حصون المسلمين في ملطية و زبطرة و اللتان تقعان اليوم في شرق الاناضول في تركيا .

(٤) قاد بابك الخرمي سنة ٢٠١ هـ ثورة ضد العباسيين استمرت حتى عهد المعتصم، و قد كان لبابك الخرمي اتباع كثيرون نواحي اردبيل و اذربيجان وكاد في بعض المراحل ان يودي بالخلافة العباسية، فتمكن المعتصم من أسره فَنَكَّلَ في قتلِه ثم صلبه في سامراء، وبعدها بأربعة أشهر سار لحرب الروم.

(٥) تأسست عموريّة في العصر الهيليني و كانت من أهم مدن الإمبراطورية

وَهِيَ أَشْرَفُ عِنْدَهُم مِنَ القُسْطَنْطِينِيَّةِ[1].

مَعْرَكَةُ عَمُّورِيَّةَ:

بَعْدَ أَنْ أَعَدَّ عُدَّتَهُ، سَارَ الخَلِيفَةُ العَبَّاسِيُّ بِنَفْسِهِ إِلَى عَمُّورِيَّةَ فِي جَحَافِلَ ضَخْمَةٍ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى مَوْضِعٍ يُسَمَّى (سَرُوجَ)[2] قَسَّمَ جَيْشَهُ إِلَى فِرْقَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا بِقِيَادَةِ إِفْشِينَ التُّرْكِيِّ[3]، وَكَانَ مَعْرُوفاً بِشِدَّتِهِ وَبَطْشِهِ، وَالفِرْقَةُ الثَّانِيَةُ بِقِيَادَةِ المُعْتَصِمِ نَفْسِهِ وَكَانَتْ وِجْهَتُهُمَا إِسْقَاطَ أَنْقَرَةَ أَوَّلاً وَمِنْهَا الِاتِّجَاهُ جَنُوباً نَحْوَ عَمُّورِيَّةَ، عَلَى أَنْ يَسْلُكَ كُلٌّ مِنْهُمَا طَرِيقاً غَيْرَ الآخَرِ، وَذَلِكَ لِلتَّمْوِيهِ عَلَى الرُّومِ وَبَعْثَرَةِ قُوَاهُمْ.

اِتَّخَذَ جَيْشُ إِفْشِينَ المَسَارَ المُؤَدِّيَ إِلَى نَهْرِ

البيزنطية وتقع اليوم في تركيا في محافظة اسمها أفيون قرة، وهي مكان نشأة السلالة العمورية الحاكمة لامبراطورية الروم البيزنطية آنذاك والتي حكمت من سنة (٢٠٥هـ - ٢٥٣ هـ) الموافق لـ(٨٢٠ م - ٨٦٧م)ويذكر التاريخ ان السلالة العمورية انتهى حكمها بانقلاب داخلي،قاده مؤسس سلالة الاباطرة المقدونيين.

(١) تاريخ الطبري ج٧ ص ٣٦٤.

(٢) تقع اليوم في الجنوب التركي وتبعد ١٠ كم إلى الشمال الشرقي من مدينة عين العرب السورية وأغلب سكانها اليوم من الأكراد.

(٣) لقبه إفشين وكان اسمه حيدر بن كاوس..

اللَّامِسِ بِالقُرْبِ مِنْ طَرْسُوسَ[1]، وَفِي الطَّرِيقِ الْتَحَمَ مَعَ الجَيْشِ الرُّومِيِّ الَّذِي كَانَ يَقُودُهُ نَفْسُ الإِمْبِرَاطُورِ تُوْفِيلُ وَحَدَثَتْ بَيْنَهُمَا مَعْرَكَةٌ شَرِسَةٌ انْتَهَتْ بِهَزِيمَةِ الرُّومِ، وَفِرَارِ تُوْفِيلَ نَحْوَ القُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَقَدْ وَصَلَهَا وَسْطَ شَائِعَاتٍ تَقُولُ بِمَقْتَلِهِ، مِمَّا جَعَلَ الأُمُورَ تَضْطَرِبُ فِيهَا وَتَتَعَقَّدُ عَلَيْهِ، فَانْشَغَلَ الإِمْبِرَاطُورُ بِالسَّيْطَرَةِ عَلَى الوَضْعِ فِي عَاصِمَتِهِ بَدَلاً مِنَ التَّفْكِيرِ بِمُواجَهَةِ الجَيْشِ القَادِمِ مِنْ بِلَادِ العَرَبِ.

كَانَتْ تِلْكَ الأَخْبَارُ كَكُرَةِ الثَّلْجِ تَتَدَحْرَجُ وَتَكْبُرُ وَسْطَ الفَوْضَى العَارِمَةِ وَتَقَدُّمِ طَلَائِعِ جَيْشِ المُسْلِمِينَ نَحْوَ أَنْقَرَةَ، إِذْ فَعَلَتِ الهَزِيمَةُ النَّفْسِيَّةُ فِعْلَتَهَا فَفَرَّ حَامِيَتُهَا وَهَرَبَ مَعَهُم أَهْلُهَا، فَسَقَطَتْ تلقائياً وَمِنْ دُونِ أَيِّ مُقَاوَمَةٍ تُذْكَرُ، فَدَخَلَهَا المُعْتَصِمُ عَفْواً وَاسْتَفَادَ مِمَّا فِيهَا مِنْ مَؤُونَةٍ وَأَسْلِحَةٍ مِمَّا قَوَّى جَيشَهُ كَثِيراً.

لم يَتَمَاهَلْ إذ اتَّجَهَ بِجَحَافِلِهِ جَنُوباً نَحْوَ عَمُّورِيَّةَ، وَكَانَ لِهَذِهِ المَدِينَةِ الكَبِيرَةِ أَرْبَعٌ وَأَرْبَعُونَ بُرْجاً بِهَيْئَةِ حُصُونٍ

(١) طرسوس هي اليوم مدينة تركية تقع جنوب البلاد على ساحل البحر الأبيض المتوسط، تابعة لمحافظة مرسين، وتبعد حوالي ١٥ كم عن مدينة مرسين و ٤٠ كم عن مدينة أضنة.

مَتَلَاصِقَةٍ فِيمَا بَيْنَهَا بِأَسْوَارٍ تُحِيطُ بِالمَدِينَةِ، وَعَلَى كُلِّ بُرْجٍ قَائِدٌ مَعَ عَسَاكِرِهِ، يَذُودُ عَنْهُ وَيُدَافِعُ عَنْ أَسْوَارِهَا، وَرُغْمَ اتِّسَاعِ رُقْعَتِهَا الجُغْرَافِيَّةِ اسْتَطَاعَ جَيْشُ المُسْلِمِينَ أَنْ يُطْبِقَ عَلَيْهَا الحِصَارَ مِنْ جِهَاتِهَا الأَرْبَعِ.

لَمْ يَكُنْ فِي وِسْعِ إِمْبِرَاطُورِ الرُّومِ فِعْلُ أَيِّ شَيْءٍ مُطْلَقاً لِنَجْدَةِ عَمُّورِيَّةَ فَهُوَ مَشْغُولٌ بِإِخْمَادِ الفِتْنَةِ الدَّاخِلِيَّةِ ضِدَّهُ فِي عَاصِمَتِهِ القُسْطَنْطِينِيَّةِ، فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ بَعَثَ رَسُولاً لِلْمُعْتَصِمِ يَعْتَذِرُ لَهُ عَمَّا حَصَلَ لِمَلَطِيَةَ وزَبَطْرَةَ[1] وَأَنَّ ذَاكَ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ وَتَمَّ بِخِلَافِ أَوَامِرِهِ، وَأَنَّهُ مُسْتَعِدٌّ أَنْ يُرْجِعَ السَّبَايَا وَالأَسْرَى، وَأَنْ يُعِيدَ بِنَاءَ مَا خَرَّبَهُ جَيْشُهُ مِنْ مُدُنٍ وَضِيَاعٍ، لَكِنَّ المُعْتَصِمَ رَفَضَ هَذَا العَرْضَ وَلَمْ يَكْتَفِ بِذَلِكَ بَلْ أَسَرَ الرَّسُولَ وَجَعَلَهُ يَرَى عَمَلِيَّةَ الحِصَارِ بِأُمِّ عَيْنِهِ.

(١) كان الامبراطور توفل أوقع بأهل زبطرة وهي كانت حصن من أقرب الثغور لبلاد الروم زمن الخلافة العباسية، فأسرهم وخرب بلدهم ومضى من فوره إلى ملطية فأغار على أهلها وعلى أهل بعض الحصون من المسلمين وسبى فيما قيل أكثر من ألف امرأة ومَثَّلَ بمن صار في يده من الرجال وسمَّل أعينهم وقطع آذانهم وآنافهم. تاريخ الطبري ج٧ ص ٣٦٣.

وِشَايَةُ الثَّغْرِ

لَمْ يَدُمِ الحِصَارُ طَوِيلاً[1] إِذْ تَضَعْضَعَ الوَضْعُ سِرَيعاً، وَكَانَ سَبَبُهُ وِشَايَةٌ مِنْ أَحَدِ المُتَنَصِّرِينَ الَّذِي كَانَ فِيمَا مَضَى مُسْلِماً فَتَنَصَّرَ وَتَزَوَّجَ رُومِيَّةً مِنْ بَنَاتِ عَمُّورِيَّةَ، إِذْ خَرَجَ إِلَى المُعْتَصِمِ وَأَعْلَمَهُ بِمَكَانٍ فِي السُّورِ كَانَ قَدْ هَدَمَهُ السَّيْلُ فِيما مَضَى من أَيامٍ وَبُنِيَ عَلَى عَجَلٍ بِنَاءً ضَعِيفاً بِلَا أَسَاسَاتٍ.

حِينَهَا نُصِبَتِ المَجَانِيقُ حَوْلَ عَمُّورِيَّةَ وضُرِبَتْ أَسْوَارُهَا بِالقَذَائِفِ وَالحِمَمِ فَكَانَ أَوَّلُ مَا انْهَدَمَ مِنْهَا هُوَ المَوضِعُ الَّذِي دَهَّمْ عَلَيْهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ، وَقَدْ حَاوَلَ القَائِدُ الرُّومِيُّ «وندوا»[2] المُوَكَّلُ بِهَذِهِ النَّاحِيَةِ سَدَّ الثَّغْرِ بِجُذُوعِ أَشْجَارِ الخَشَبِ الغَلِيظَةِ القَوِيَّةِ لَكِنَّ قُوَّةَ المَجَانِيقِ وَكَثْرَةَ الرَّمْيِ حَطَّمَتْهَا، فَاسْتَنْجَدَ وندوا بِبَقِيَّةِ القَادَةِ مِنْ بَنِي جِلْدَتِهِ فَلَمْ يُعِينُوهُ بِحُجَّةِ أَنَّ كُلاً مِنْهُم مَشْغُولٌ بِحِصْنِه وَمَا يَلِيهِ مِنْ عَسَاكِرَ، فهُدِمَ السُّورُ وَاتَّسَعَتْ ثَغْرَتُهُ مِمَّا جَعَلَ **وندوا** يَهَابُ مِنَ الهَزِيمَةِ وَالقَتْلِ فَطَلَبَ

(١) لم يدم الحصار أكثر من أحدى عشر يوماً فقط.

(٢) و ترجمته بالعربية أي الثور.

الأَمَـانَ لِنَفْسِـهِ وَلِخَاصَّتِـهِ[1].

وَمِنْهَـا دَخَـلَ جَيْـشُ الـمُعْتَصِمِ نَحْـوَ الـمَدِينَةِ وَسْـطَ انْهِيَـارَاتِ عَسَـاكِرِ عَمُّورِيَّـةَ وَتَسَـاقُطِ أَبْرَاجِهَـا الوَاحِـدِ تِلْـوَ الآخَـرِ، وقَتَـلَ عـلى إثرِهَـا خلقـاً كَثِـيراً مِـنَ الـرُّومِ[2]، وَاسْـتَبَاحَ مَدِينَتَهُـم وَأَحْرَقَهَـا، وَحَوَّلَهَـا إلى يَبَـابٍ خَـرِبٍ كَيْـلَا يُسْـتَفَادَ مِنْهَـا فِيـمَا بَعْـدُ.

تَرَكَـتْ هَـذِهِ الـمَعْرَكَةُ أَثَرَهَـا فِي الأَدَبِ الرُّومِـيِّ

---

(١) يقول في الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ٦ ص ٤٥ في تفصيل ذلك: فلم تزل الحرب كذلك حتى كثرت الجراحات في الروم، وكان بطارقة الروم قد اقتسموا أبراج السور، وكان البطريق الموكل بهذه الناحية وندوا وتفسيره ثور، فقاتل ذلك اليوم قتالاً شديداً، وفي الأيام قبله، ولم يمده ناطس ولا غيره بأحد، فلما كان الليل مشى وندوا إلى الروم فقال: إن الحرب عليّ وعلى أصحابي، ولم يبق معي أحد إلا جرح، فصيروا أصحابكم على الثلمة يرمون قليلا وإلا ذهبت المدينة، فلم يمدوه بأحد، وقالوا: لا نمدك ولا تمدنا، فعزم هو وأصحابه على الخروج إلى المعتصم يسألونه الأمان على الذرية، ويسلمون إليه الحصن بما فيه، فلما أصبح وكل أصحابه بجانبي الثلمة، أمرهم أن لا يحاربوا، وقال: أريد الخروج إلى المعتصم، فخرج إليه فصار بين يديه، والناس يتقدمون إلى الثلمة، وقد أمسك الروم عن القتال حتى وصلوا إلى السور، والروم يقولون لا تخشوا، وهم يتقدمون، ووندوا جالس عند المعتصم، فأركبه فرسا وتقدم الناس حتى صاروا في الثلمة، وعبد الوهاب بن علي بين يدي المعتصم يومئ إلى المسلمين بالدخول، فدخل الناس المدينة فالتفت وندوا وضرب بيده على لحيته فقال له المعتصم: مالك، قال: جئت أسمع كلامك فغدرت بي.

(٢) و ذكر فيه ان قتلى الروم بلغ ٣٠ الفا ومثلهم من السبي. تاريخ الخلفاء للسيوطي ج١ ص ١٦٥.

البِيزَنْطِيِّ وَكَذَا فِي الأَدَبِ العَرَبِيِّ، وَقَدْ خَلَّدَ الشَّاعِرُ أَبُو تَمَّامٍ هَذِهِ المَعْرَكَةَ بِقَصِيدَتِهِ المَشْهُورَةِ وَالَّتِي قَالَ فِي مَطْلَعِهَا:

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ
فِي حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِدِّ وَاللَّعِبِ
بِيضُ الصَّفَائِحِ لَا سُودُ الصَّحَائِفِ
فِي مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشَّكِ والرِّيَبِ[1].

صراعٌ داخلَ صراعٍ

رَغْمَ هَلَاكِ المُعْتَصِمِ وَإِمْبِرَاطُورِ الرُّومِ فِيمَا بَعْدُ، لَمْ تَهْدَأِ المَعَارِكُ بَعْدَ خَرَابِ عَمُّورِيَّةَ[2]، إِذِ احْتَدَمَتِ الحروبُ واتسعَ نِطَاقُهَا بينَ ممالكِ العربِ و ممالكِ الرُّومِ في معاركَ طَاحِنَةٍ امْتَدّتْ مِنْ شِمَالِ الْعِرَاقِ حَتى بِلادِ الأَنْدَلُسِ فِي أَقَاصِي الغَرْبِ[3]..

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ج١ ص ١٦٥، وتم تصحيح بيت الشعر الثاني لابي تمام بناءا على ما هو في الموسوعة الشعرية.

(٢) دامت المعارك بين العرب و الروم لعدة قرون و أخذت أشكالا متعددة حتى الاستعمار الحديث.

(٣) راجع الكامل في التاريخ من حوادث سنة ٢٢٢ هجرية و ما بعدها.

مُلوكٌ يصارعونَ ملوكاً، لا لنشرِ أديانِهم أوْالدِّفاعِ عَنْها كما يَزْعُمونَ، بلْ للغَلَبَةِ وطَمَعاً فِي اتِّساعِ رُقْعَةِ سُلطانِهم.

ولِضَمانِ تعبئةِ العددِ الأكبرِ لحُروبِهِمْ، والتي عادةً مَا يَكُونُ جنودُهَا مِنْ البُسَطَاءِ والبؤساء مِنْ طَبقةِ المسحوقِينَ المُعْدَمِينَ، غُلِّفَتْ تِلْكَ الحُروبُ بِعناوينَ دينيةٍ تَعْمِيةً عَلَى رَعَايَا الدولتين، وكَأَنَّهَا حَربٌ مُقَدَّسَةٌ بَيْنَ المسلمينَ والمسيحيينَ، فَبَدَأَتْ سِلْسِلَةٌ مِنَ الحُرُوبِ عَمُودَاهَا الدَّوْلَةُ العَبَّاسِيَّةُ وَالإِمْبرَاطُورِيَّةُ الرُّومِيَّةُ وَالمَمَالِكُ الدَّائِرَةُ فِي فَلَكَيْهِمَا، اِمْتَدَّتْ لِأَزْمِنَةٍ مُتَمَادِيَةٍ لَا تَكَادُ تَنْقَطِعُ، مَعَارِكُ تِلْوَ مَعَارِكَ، تَارَةً بَيْنَ الجُيُوشِ، وَتَارَةً تَأْخُذُ طَابِعَ حَرْبِ السَّرَايَا فِيمَا يُشْبِهُ حَرْبَ العِصَابَاتِ، فَلَقَدْ كَانَتْ حُدُودُ النُّفُوذِ غَيْرَ مُنْضَبِطَةٍ تَتَّسِعُ تَارَةً وَتَضِيقُ أُخْرَى، وَتَتَقَلَّبُ الوَلَاءَاتُ بِشَكْلٍ زِئْبَقِيٍّ.

وَكَانَتْ أَكْثَرُ مَسَارِحِ تِلْكَ التَّدَافُعَاتِ هِيَ مِنْطَقَةُ شَمَالِ العِرَاقِ وَالشَّامِ بِمَا فِيهَا تُرْكِيَّا الحَالِيَّة، فَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الجُغْرَافِيَةُ المُتَشَابِكَةُ أَرْضَ أَمْنٍ وَسَلَامٍ، بَلْ كَانَتْ تَفُوحُ مِنْهَا رَائِحَةُ الدَّمِ وَالمَوْتِ، فَلَقَدْ مُلِئَتْ بِجُثَثِ

العَسَاكِرِ وَالمَدَنِيِّينَ كَمَا هِيَ عَلَيْهِ اليَوْمَ، فَالفَوْضَى مُنْتَشِرَةٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ تُشْبِهُ عَصرَنا الحَاضِرَ، وَكَأَنَّمَا التَّارِيخُ يُعِيدُ نَفْسَهُ.

مُفَاجَأةُ القيصَر

وَفِي الأَرْبِعِينِيَّاتِ مِنَ القَرْنِ الثَّالِثِ الهِجْرِيِّ القَمَرِيِّ، فِي خِضَمِّ تِلْكَ الصِّراعاتِ، وَتِلْكَ المُنَازَلَاتِ الضَّرُوسِ الَّتِي لا تَكَادُ تَنْتَهِي سِلْسِلَتُهَا، وَالَّتِي تَنَاوَبَ عَلَيْهَا مُلُوكٌ بَعْدَ مُلُوكٍ، وَقَيَاصِرَةٌ تِلْوَ قَيَاصِرَةٍ، وكَعادةِ الجَبَابِرةِ والسَّلاطينِ وَبشكلٍ لا أُبَالِي ورُغْمَ اسْتِمْرَارِ تِلْكَ المَآسِي فَاجأَ قَيْصَرُ الرُّومِ مَسْتَشَارِيهِ فِي البَلاَطِ..

فَاجأَهُم بِعزمِهِ عَلَى إِقَامَةِ مِهْرَجانٍ ضَخْمٍ كَثِيرِ البَذَخِ، وأَخَذَ يُحَدِّثُ بِتَفَاصِيلِ خُطَّتِهِ:

أُرِيدُهُ أن يكونَ حديثَ أهلِ مَمْلَكَتي، ولذا سَأدعوَ لَه فِي قَصْرِي ثَلَاثَمِئَةَ رَجُلٍ مِنْ نَسْلِ الْحَوَارِيِّينَ مِنَ الْقِسِّيسِينَ وَالرُّهْبَانِ، وَسَبْعَمِئَةَ رَجُلٍ مِنْ ذَوِي الْأَخْطَارِ، وَأَرْبَعَةَ آلافٍ مِنْ أُمَرَاءِ الْأَجْنَادِ وَقُوَّادِ الْعَسْكَرِ وَنُقَبَاءِ الجيُوشِ

وَمُلُوكِ الْعَشَائِرِ[1]، لَنْ أَتْرُكَ عَظِيمًا مِنْ أَهْلِ سُلْطَانِي ومَنْ بِجِوَارِي إِلَّا وَسَأَدْعُوهُ..

أَرَادَهُ القَيْصَرُ أنْ يكُونَ على ألْسِنَةِ أَهْلِ مملكَتِهِ وَالمَمَالِكِ الأُخَرِ، وَكَأَنَّ الخُطَّةَ قَدْ رُسِمَتْ مُنذُ مُدَّةٍ في ذِهْنِ القَيْصَرِ، يَبْدُو أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ خَاطِرَةً مُرْتَجَلَةً، فَهوَ كَانَ يَعِي مَا يُرِيدُ، في الظَّاهِرِ أَعْلَنَ أنَّ ذَلِكَ لِتَحْقِيقِ أُمْنِيَّةٍ كَانَتْ تُرَاوِدُهُ مِنْ زَمَنٍ بَعِيدٍ، وهِيَ مُصَاهَرَةُ نَسْلِهِ بِنَسْلِ أَخِيهِ، وتَزْوِيجُ حَفِيْدَتِهِ المُدَللةِ أقربِ الأميراتِ إلى قلْبِهِ، وَأَعَزِّهِنَّ علَيْهِ، لِيُزَوِّجَهَا مِنْ ابْنِ عَمِّهَا.

ما وراءَ الظَاهِرِ؟!

ولكنْ ما وراءَ هَذا فَهُوَ إِنَّمَا أَرَادَ استثماراً سياسياً أَبْعَدَ مِنَ الزَّوَاجِ، ومَا المِهْرَجَانُ إِلَّا غِطَاءٌ لِهَدَفٍ حقيقي يَسعَى إليهِ، ورِسَالةٌ مزدوجةٌ في اتِّجَاهَاتٍ عِدَّةٍ، إِذْ كَانَ هُنَاكَ صراعٌ خَفِيٌّ تحتَ السَّطْحِ أَخَذَ يَشُبُ وَيَتَّسِعُ رُوَيْداً رُوَيْداً.

إِرَادَتَانِ قَوِيَّتَانِ تَتَدَافَعَانِ فِيما بَيْنَهُمَا فِي إِمْبَرَاطُورِيَّةٍ

(١) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢، ص ٤٢٠.

الـرُّومِ قُـوَّةُ القَيْـصَرِ وَقُـوَّةُ رَأسِ الكَنِيسَـةِ، وَكَانَتِ الـمَشَاكِلُ تَتَرَاكَـمُ يَومـاً بَعْـدَ يَـوْمٍ لِتَزِيـدَ البَغْضَـاءَ و التَّنَافُـرَ بَـينَ القُطْبَـيْنِ، فَقَـدْ كَانَ رَأسُ الأَسَـاقِفَةِ حَذِقـاً وفَطِنـاً وَمَاكِـراً ودَوْرُهُ يَتَعَاظَـم باطِّـرَادٍ، وَلَـهُ مِـنَ العُيُـونِ في داخِـلِ القَـصْرِ مَـنْ يَنْقُـلُ لَـهُ الأَخْبَـارَ بِتَفَاصِيلِهَـا فـكَانَ يَظُـنُّ أَنَّـهُ يَقِـفُ عَـلَى أَرْضٍ صُلْبَـةٍ، وَعَلَيْـهِ قَـرَّرَ خَـوْضَ الـصِّرَاعِ وَمُعَانَـدَةَ رَأسِ السُّـلْطَةِ الزَّمَانِيَّـةِ.

التَضحِيةُ بالأميرة

مَـعَ هَـذَا الِاحْتِـدَامِ كَانَ لا بُـدَّ لِلْقَيْـصَرِ مِـنْ أَنْ يَكْـسِرَ هَيْبَـةَ رَأْسِ الكَنِيسَـةِ وَقُوَّتَـهُ الـمَعْنَوِيَّةَ قَبْـلَ اتِّخَـاذِهِ أَيَّ قَـرَارٍ أَوْ خُطْـوَةٍ مِـنْ شَـأْنِهَا زَعْزَعَـةُ مَكَانَتِـهِ، كَانَ يُفَكِّـرُ فِي خَلْـقِ حَـدَثٍ يَصْطَـادُ فِيـهِ عِـدةَ غُرَمَـاءَ، فَـمَا كَانَـتْ خُطَـةُ إِظهـارِ عَظَمَـةِ سُـلْطَانِهِ وَأمـامَ هَـذَا الكـمِّ الـهائلِ مـنَ الضُّيـوفِ الذيـنَ يُشَـكِّلُونَ عِلْيَـةَ القـومِ، وَبِحُضُـورِ هَـذَا الكَـمِّ الغَفِـيرِ مِـنْ أَسَـاقِفَة دَوْلَتِـهِ، إلاَّ تَرْهِيبـاً لِخَصْومِـهِ في الدَّاخِـلِ ولِأعدائِـهِ في الـخارجِ، وَإِيقَافـاً لِتَدَاعِيَـاتٍ مُحْتَمَلَـةٍ لِتَفَـكُّكِ قُـوَّةِ مَملكَتِـهِ الآخـذةِ بالتَرَهُّـلِ، وقَطْعـاً لِسِلْسِـلَةِ الـهَزَائِمِ

النَّفْسِيَّةِ الَّتِي شَاعَتْ قَصَصُ مَآسِيهَا فأَخَذَتْ فِي الإِتِّسَاعِ والإِنْتِشَارِ بَيْنَ رَعِيَّتِهِ بِسَبَبِ تِلْكَ الحُرُوبِ الخَارِجِيَّةِ، إِذْ لَا يُوجَدُ بَيْتٌ إِلاَّ وَفِيهِ ثَكْلٌ يَنُوحُ بِالأَحْزَانِ، ونِيرَانٌ تَتَّقِدُ لِتَنَالَ مِنَ العَزَائِمِ، فَلَقَدْ أَلْقَتْ هَزِيمَةُ مَعْرَكَةِ عَمُّورِيَّةَ وَسُقُوطُهَا بِيَدِ العَبَّاسِيِّينَ وَمَا تَبِعَهَا مِن سِلْسِلَةِ حُرُوبِ اسْتِنْزَافٍ امْتَدَّتْ لِأَكْثَرَ مِنْ عَقْدَيْنِ مِنَ الزَّمَنِ -وَالَّتِي لَمْ يَكُن يُرى أُفُقٌ لِنَهَايَتِها- أَلقَتْ بِثِقْلِهَا على المَشْهَدِ العَامِّ لِلإِمْبِرَاطُورِيَّةِ، فكانتْ هِمَّتُهُ إطفاءَ تِلْكَ الحِكَايَاتِ مِنْ أَلسِنَةِ النَاسِ.

أرادَ حِيلَةً تُخْرِجُهُ هُوَ وَمَلَكَتُهُ مما هُمْ فِيهِ، وَأَنْ يُبَدِّدَ شيئاً مِنْ تلكَ الأجواءِ التِي توحي بضَعْفِ سُلْطَانِهِ وَوَهْنِهِ أمامَ مُنَاوِئِيهِ و أَضْدَادِهِ، فلَمْ يرَ إِلَّا حِيلَةَ المِهْرَجَانِ والزَّوَاجِ، ومِمَّا يُعَزِّزُ هَذا التَحْلِيلَ أنَّ الأَمِيرَةَ آنَذَاكَ كانتْ صَغِيرَةً جِداً لَمْ تَطْرُقْ بَعْدُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنَ العُمْرِ[1]، فَلاَ يُعْقَلُ أنْ يُعَجِّلَ بها وهي بهذا السنِّ من الصِّبَا، وهوَ الحَرِيصُ أشدَّ الحِرْصِ عَلَيْهَا - كَمَا يظهرُ

(١) تذكر كتب الرواية أن عمرها كان ثلاث عشرة سنة ،كما في كتاب الغيبة للشيخ الطوسي ص٢١١ و غيره.

مِـنْ ثَنَايـا الروايـاتِ[1]- لـولا ضرورةٌ مُلِحَّـةٌ دَعَتْـه لذَلِـكَ.

موقفُ الأميرةِ

كَانَـتْ الأمـيرةُ غَايـةً في الـذكاءِ وطَهـارةِ القَلْـبِ ونقـاءِ السريـرةِ، ومَـضْرِبَ مِثـالٍ في الـخُلُقِ والجَـمَالِ، لم يَشْـغَلْهَا كَوْنُهـا مِـنْ بَنَـاتِ الـمُلُوكِ أَنْ تَطْلُـبَ مَعَـاليَ الأخـلاقِ وتَسْـمُوَ نَحْـوَ الكَـمَالِ، كَـمَا لَمْ يَشْـغَلْهَا كَوْنُهـا صَغِـيرةَ السـنِّ آنـذاكَ عَـنْ تعلُّـمِ العلـومِ وألسِـنةِ الشُّـعُوبِ ولُغَاتِهَـا، وكانَ لجدِّهَـا القَيْـصَرِ الـمُولَعِ بِالثَّقَافَـاتِ وَالعُلُـومِ فَضْـلٌ كبـيرٌ في تَرْبِيَتِهَـا، فَقَـدْ رَأَى عَلَيْهَـا عَلَائـمَ التَّمَيُّـزِ والنُّبُـوغِ مُنْـذُ نُعُومَـةِ أَظْفَارِهَـا، ولِـذَا اهتـمَّ بِهَـا اهتمامـاً خاصـاً دونَ بقيَّـةِ ذُرِّيَتِـهِ، فـكَانَ يَنْتَـدِبُ لَهَـا خِـيَرَةَ الـمعلماتِ والمربيـاتِ.

كَانَ لهـذهِ العَلاقـةِ الـحَمِيمةِ دَوْرُهَـا فِي مُسَـايَرةِ الـجَدِّ، فَفِـي دَاخِلِهَـا كانـتْ كارهـةً لفكـرةِ زواجِهَـا مِـنِ ابـنِ عَمِّهَـا، لَكِنَّهـا كَانَـتْ تُحـبُّ جَدَّهَـا وتُقَـدِّرُهُ، فَلَـمْ تَشَـأْ أنْ تكـسرَ رغبَتَـهُ، أو تُخَالِـفَ عَلَيْـهِ، فَتُبَـدِّدَ فَرْحَتَـهُ، أو تَقِـفَ أمـامَ تحقيـقِ غَايَتِـهِ، رُغْـمَ أَنَّـه في مَفصـلِ حياتِهَـا الرئيـسِ

(١) الروايات تظهر أن الجد كان شغوفاً بحفيدته، وأنه يحبها حباً جماً، وأنه اعتنى بها اعتناءً خاصاً يختلف عن اعتنائه ببقية ذريته.

فكَّـرَ كَرَجُـلِ دَوْلَـةٍ، لا كَجَـدٍ لهـا، أو مُـرَبٍ تَهُمُّـهُ مصلحـةُ ابنتِـهِ، فَجَـرَتْ عليهَـا السـيرةُ كعـادةِ كثـيرٍ مِـنْ بنـاتِ الأُمَـراءِ والملـوكِ اللـواتي يَكُـنَّ ضَحايـا لمعـادلاتِ السياسـةِ والمُلـكِ، فَانْسَـاقَتْ إلى مُـرادِ الـجَدِّ مُرْغَمَـةً لِتَحْقِيـقِ أُمْنِيَّتِـهِ، واستسـلمتْ لقَدَرِهَـا، وفَوَّضَـتْ للهِ أمرَهَـا.

عَذرَاءٌ تُسَاقُ نَحْوَ الـمجْهول!

طَـوَت الأيـامُ سَرِيعـاً.. وسَرِيعـاً دنـتْ سـاعاتُ صَبَـاحِ الاحْتفـالِ، وَكُلَّـمَا اقْتَرَبَـتْ اللحظـةُ الـموعودةُ ازْدَادَ قلقُهَـا وضيقُهَـا، كَأنَّهـا تَخْتَنِـقُ، تَعتصِـبُ نَفْسَـهَا اغْتِصَابـاً عَـلَى أَمْـرٍ تكرَهـهُ ولا تَبْتَغِيـهِ، كَعـذراءَ تُسَـاقُ نَحْـوَ مجهـولٍ لا حَـوْلَ لهـا ولا قُـوَّةَ، أدَبُهَـا يمنعُهَـا مِـنْ إظهـارِ تَمَرُّدِهَـا، فتَرسُـمُ بسـمةً حزينـةً عَـلَى شَـفَةٍ تُخْفِـي بـينَ كَسَرَاتِهـا الغَبْـنَ، كأنَّـما التَعَاسَـةَ قَـدْ نَبَـذَتْ العَلْقَـمَ في جَوَانِيِّهَـا فتَـكَادُ تَعْتَصِـفُ روحَهَـا، فهَـا هِـيَ لحظـةُ الشَّـقَاءِ تَقْـتَرِبُ، لِتَعِيـشَ مَـعْ مَـنْ لا رغبـةَ لهـا فيـه إلى آخـرِ حَيَاتِهَـا..

قِدِّيسَةٌ وشَيْطَانٌ

هـوَ كَبَقِيَّـةِ أَقْرَانِـهِ مِـنْ الأَمَـرَاءِ، تَعَـوَّدَ اللهـوَ واللعـبَ

والفُحْشَ والمُجونَ والبُعْدَ عن الله !

هِيَ، أوتيتْ مِنْ رجاحةِ العَقْلِ وحُبِّ الدِّينِ مَا جَعَلَهَا قَرِيبةً مِنَ الرَّحمانِ !

فَأيُّ بَيْتٍ يَجمَعُ بينَ قِدِّيسَةٍ وشَيْطَانٍ؟!

..تَمَنَّتْ حينَهَا لوْ يَقِفُ الزَّمَنُ، فيمتنعَ الفجرُ عَنْ الانْبِلاجِ، وتكونَ الدُّنيَا كلُّهَا ليلاً ولِلأَبَدِ.. أو تَنْتَهِي قِصَّةُ الحَيَاةِ إلى هُنَا !

.. لكِنَّ الشَّمْسَ تُعَانِدُهَا، فَقَدْ خَرَجَتْ آذنةً بِبَدْءِ يومِ الْمِهْرَجَانِ، لِيَحِلَّ ضَيْفاً ثَقِيلاً كَأَمَرِّ يَوْمٍ فِي حَيَاةِ الْأَمِيرَةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَكَأَسْعَدِ يَوْمٍ عِنْدَ جِدِّهَا.

خارجَ القصرِ

كَانَ لَا بُدَّ لِهَذَا الحَفلِ الملكيِّ أَنْ يُظْهِرَ عَظَمَةَ الْمَمْلَكَةِ، خارجَ القَصرِ فِي كُلِّ الطُّرْقَاتِ عُلِّقَتْ الْأَعْلَامُ، وكذا عَلَى شُرُفَاتِ الْبُيُوتِ، وقَدْ كَسَاهَا مِنَ الزِّينَةِ وَأَشْجَارِهَا مَا حوَّلَ المدِينَةَ إلى جَنَّةِ أَرْضٍ زَاهِيَةٍ تُبهِرُ أنظارَ الضُّيُوفِ الْقَادِمِينَ، وفِي الشَّوَارِعِ انتشرتْ سَرَايَا مِنْ عَشَرَاتِ آلآفِ الجنْدِ بِأَسْلِحَتِهِمْ وَرايَاتِهِمْ، وَهُم

يَهْتِفُونَ بِرُوحِ الْقَيْصَرِ وَيَتَغَنَّوْنَ، وَنَاسُهَا ثِملونَ يتعانقونَ سُكَارَى، لَا تَسْمَعُ إلا صديحَ كؤوسِهم تتكاسَرُ وَقَدْ انْتَشَوْا بِصَرْخَاتِهِم وَزَعِيقِهِم، فعجيبةٌ هِيَ الْحَيَاةُ عَنْدَما تُرِيدُ أَنْ تَقْهَرَ الصِّدِّيقِينَ، تَمْلَأُ أَزِقَّتَهَا صَخَباً كَيْ تُطْفِئَ تَرَاتِيلَ الْقِدِّيسِينَ، لَكِنْ رَغْمَ تلكَ الجَلَبَة فقد كَانَ يشُقُّ عَجِيجَهَا صَدَىً نَاعِمٌ لِصَوْتٍ مُرْهَقٍ رَاكِعٍ يَدعو: "رَبِّ إِنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ"، هَكَذَا تَوَجَّهْتْ بِقَلْبِهَا الْمُكَمَدِ نَحوَ بَارِئِهَا وَخَالِقِهَا، وفوَّضَتْ أَمْرَهَا لَهُ وَاستسلمتْ..

دَاخِلَ القَصْرِ

في باحةِ القَصْرِ أَبْوَاقُ الجوقاتِ العسكريةِ شَتَّتَتِ الهدوءَ فأفزَعَتْ عصافيرَهُ وَحَمَامَاتِه، فطارتْ مُحَلِّقَةً بَعِيدًا تَارِكَةً حَدَائقَهُ الخضرآءَ يحتلُها العساكرُ.

أَمَّا في الدَاخِلِ فلا تسمعُ إلا هَمْهَمَاتِ الضيوفِ وَقد اصْطَفُّوا صفوفاً، كُلٌّ بِحَسبِ مَكَانِهِ اللَّائِقِ بِهِ وَالْمُعَدِّ لَهُ سَلَفَاً، فَقَدْ جَمَعَ الْمَلِكُ عُظَمَآءَ سُلْطَانِهِ وَمَنْ جَاوَرَهُ وَعِلِيَةَ قُوَمِهِ وَالْمَلأَ مِنْ نَاسِهِ وَكَمَا خُطِّطَ لَهُ وَزِيَادَة، وَقد أَبْرَزَ مِنْ بَهِيِّ مُلْكِهِ عَرْشاً مُصَاغاً مِنْ أَصْنَافِ الجوْهَرِ

والذهبِ مَا يَبْهَرُ الْعُيُونَ وَيَخْطِفُ الْأَبْصَارَ، وَقد رَفَعَهُ عالياً فَوْقَ أَرْبَعِينَ مِرْقَاة[1].

عَقدُ القِران

لَقَدْ جُهِّزَتْ كُلُّ الأُمورِ وَتَمَّتْ الْاسْتِعْدَادَاتُ، وَالْجَمْعُ يَنْتَظِرُ أَنْ يَدْخُلَ الْأَمِيرُ الْعَرِيسُ لِيَجْلِسَ عَلَى العَرْشِ، ثُمَّ تَتْبَعُهُ الأميرةُ بعدَ حينٍ، ليُعْقَدَ القِرَانُ، هَكَذَا كَانَ مَرْسُوماً، جِيءَ بِالأَمِيرِ ابنِ أخِ القَيْصَرِ وهُوَ في كَامِلِ زِينَتِهِ يَمشِي وَسْطَ ذُهُولِ الإِعْجَابِ مِنَ المَدْعُوِّينَ وَصَفِيقِهِمْ، كَانَتِ اللِّيَاقَاتُ وَالبُرُوتُوكُولَاتُ تَفْرِضُ مُشَارَكَةً لِرَأْسِ الأَسَاقِفَةِ -المُنَاوِئ لِلمَلِكِ- إِذْ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ دَوْرٍ، فَكَانَتْ فُرْصَةً لَهُ هُوَ الآخَرَ لِإِثْبَاتِ الوُجُودِ وَلِاسْتِعْرَاضَ القُوَّة، فَغَلَبَتْ أَجْرَاسُ الكَنَائِسِ أَصْوَاتَ الحُضُورِ فَسَكَنُوا وَسَكَتُوا، حِينَها بَدَأَتْ تَتَعَالى تِلَاوَاتُ الرُّهْبَانِ وَقَدَادِيسِهِم، وَقَدْ رُفِعَتْ الصُّلْبَانُ وَقَامَتِ الْأَسَاقِفَةُ عُكَّفاً قَد أومَؤُوا بِرُؤُوسِهِمُ انْحِنَاءً وتَعْظِيماً، وَنُشِرَتْ أَسْفَارُ الْأَنَاجِيلِ، فأخذ الأميرُ الشابُ يَصْعَدُ

(١) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، ج٥١، ص٧.

درجاتِ العرشِ الأربعينَ مُتبَخْتِراً مَزْهُوّاً قَدْ غَلَبَ عَلَيْه العُجْبُ وَالغُرُورُ فهذا يَومُ سَعْدِهِ.

حَدَثٌ لم يكُنْ في الحسبَان!

حِينَهَا حَدَثَ مَا لَمْ يَكُنْ بِالْحُسْبَانِ، لم يكَدْ يَنْتَهِي مِنَ الصُعُودِ فَيَجْلِسَ، حَتَّى تَزَلْزَلَتِ الْأَرْضُ وَاهْتَزَّتْ تَحْتَ الْعرشِ، كَأَنَّهَا تَسْتَجِيبُ لِقَلبِ ذَاكَ المَلاكِ الَّذِي أَخفَى أَلَمَهُ وَعَدَمَ رِضَاهُ، فَامْتَعَضَتْ حِجَارَتُهَا لِامْتِعَاضِ قَلْبِهَا المُتَفَطِّرِ، وَلِتَعْلَمَ الْأَمِيرَةُ الْمُقَدَّسَةُ أَنَّ لَهَا رَبّاً هِيَ بِعَيْنِهِ، يُدَارِيهَا وَيَحْمِيهَا.

فَتَسَاقَطَتْ الصُلبَانُ، وَتَسَافَلَتْ متواليةً مِنَ الْأَعْالِي حتى ارتطمتْ بِالْأَرْضِ ولَصِقَتْ بها لا يُرفَعُ لها طَرَفٌ، وَتَقَوَّضَتْ أَعْمِدَةُ الْعَرْشِ فَانْهَارَتْ إلى الْقَرَارِ، وانهارَ معها الْأَمِيرُ الْمُتَبَخْتِرُ الجالِسُ عَلَى الْعَرْشِ، فَخَرَّ مِنَ فوقِهِ مَغْشِيّاً عَلَيْهِ، كَخَشَبَةٍ صفراءَ يَابِسَةٍ، قَدْ سَكَنَتْ حَرَكَتُهُ، وخَمَدَ نَفَسُهُ، مِنْ شِدَّةِ الرُّعْبِ وهَوْلِ مَا رآهُ، وقد تَغَيَّرَتْ أَلْوَانُ الْأَسَاقِفَةِ وَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُم[1]..

(١) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق، ج ٢ ص ٤٢١.
الغيبة للشيخ الطوسي، ص٢١١.

دَهاءُ البطريك!

سَادَ الْاضْطِرَابُ وأَحَسَّ مَنْ أَمَّ الْقَصْرَ بالنحُوسَةِ، وعَلَتْ الْهَمْهَمَةُ، هُنَاكَ وَبِدَهَاءٍ مَاكِرٍ مُنْقَطِعِ النَّظِيرِ- لَا يُصَدَّقُ- اقْتَنَصَ رَئِيسُ الأَسَاقِفَةِ الفُرْصَةَ، فَاسْتَغَلَّ الْمَوْقِفَ لِيُفْرِغَ رِسَالَةَ القَيْصَرِ مِنْ مُحْتَوَاهَا وَيُبَدِّدَ غَايَتَهُ مِنَ الْمِهْرَجَانِ، بَلْ وَلِيَقْلِبَ ظَهْرَ الْمِجَنِّ عَلَى خَصْمِهِ اللَّدُودِ، فَأَعْلَنَ صَرَاحَةً وَبِصَوْتٍ عالٍ، وَفِي تَحَدٍّ وَاضِحٍ، وَتَحْرِيضٍ فَجٍّ ضِدَّهُ، وَلَكِنْ بِهَيْئَةِ الْمَتَشَائِمِ الْمُشْفِقِ الْحَرِيصِ عَلَى الْمَمْلَكَةِ فَقَالَ:

أَيُّهَا الْمَلِكُ أَعْفِنَا مِنْ مُلَاقَاةِ هَذِهِ النُّحُوسِ الدَّالَّةِ عَلَى زَوَالِ دَوْلَةِ هَذَا الدِّينِ الْمَسِيحِيِّ وَالْمَذْهَبِ الْمَلِكَانِيِّ[1].

بِهَذِهِ الكَلِمَاتِ كَانَ كَأَنَّهُ يَدُسُّ السُّمَّ الزُّعَافَ فِي كَأْسِ الْمَلِكِ يُجَرِّعُهُ إياه، وَكَأَنَّهُ يُصْدِرُ البَيَانَ رَقْمَ وَاحِدٍ كَمَا يَفْعَلُ قَادَةُ العَسْكَرِ عند الإنقِلَابِ، فَقَد أَعْطَى رَأْسُ الكَنِيسَةِ بِكَلَامِهِ صِبْغَةً شَرْعِيَّةً لِلإطاحة بالقَيْصَرِ

(١) الغيبة للشيخ الطوسي، ص٢١١.

وَبِحَضْرَةِ مَنْ؟!

بِحَضْرَةِ قُوَّادِ العَسْكَرِ، وَسَاسَةِ الدَّوْلَةِ، كَأَنَّهُ يُجَرِّئُهُم عَلَيْهِ، وبِخُبْثٍ مُحْكَمٍ صَوَّرَ كَرَامَةَ الأَمِيرَةِ المُقَدَّسَةِ عَلَى أَنَّهَا نَذِيرُ شُؤمٍ، بَلْ صَوَّرَهَا كَرِسَالةٍ غَيْبِيَّة بِزَوَالِ الدَّوْلَةِ المَسِيحِيَّةِ الَّتِي يُدِيرُ شُؤُونَهَا هَذَا القَيْصَرُ، فَلَا بُدَّ مِنَ التَّصَرُّفِ والتَّحَرُّكِ سَرِيعَاً لِلاطَاحَةِ بِهِ قبلَ أن تَطِيحَ كَاملُ الإِمبرَاطُوريَّة.

تَطَيُّرُ المَلِكِ!

تَطَيَّرَ الْقَيْصَرُ تَطَيُّراً شَدِيداً وَاسْتَشَاطَ غَيْظاً فِي آنٍ وَاحِدٍ، فَغَرِيمُهُ يُسددُ طَعنةً نجلاءَ لخاصرتِه، ويَقْلِبُ الأَوْضَاعَ عَلَيْهِ، وَيُؤَلِّبُ كِبَارَ مَمْلَكَتِهِ ضِدَّهُ، وَالْحَدَثُ يَجْرِي مُعَاكِساً لِمَا أَرَادَهُ، وخِلَافًا لِمَا خَطَّطَ لَهُ، بَلْ ازدَادَ الْأَمْرُ سُوءًا، إذ بَانَتْ عَلَيهِ لِوَهْلَةٍ عَلَامَاتُ الْإِرْتِبَاكِ وَالْخَوْفِ، لَكِنَّهُ سَرْعَانَ مَا تَظَاهَرَ بِعَدَمِ الاكتراثِ، وَكَأَنَّ مَا وَقَعَ لَا يَعْدُو كَوْنَهُ صدفةً، فَاسْتَجْمَعَ قُوَاهُ واسْتَخَفَّ بكبيرِ الأَسَاقِفَةِ، وَقَالَ بِنَبْرَةٍ يَتَظَاهَرُ بِهَا ثقةً رافضاً كلامَه:

.. أَقِيمُوا هَذِهِ الْأَعْمِدَةَ، وَارْفَعُوا الصُّلْبَانَ وَأَحْضِرُوا أَخَا هَذَا الْمُدْبِرِ الْعَاثِرِ الْمَنْكُوسِ جَدُّهُ، لِأُزَوِّجَهُ هَذِهِ الصَّبِيَّةَ فَيَدْفَعُ نُحُوسَةَ أخيه عَنْكُمْ بِسُعُودِه[1].

فَأَقامَ حَرَسُ الشَّرَفِ الْأَميرَ الْمُغْمَى عَلَيهِ، وَأَخْرَجُوهُ مِنَ الْقَصْرِ ذَليلًا مُرْتَعِشًا كَالْفَرْخِ الخائفِ، قَدْ أَخَرَسَهُ الذُّهُولُ لَا يَلْوِي عَلَى كَلَمةٍ، وَعَادُوا يُخَادِعُونَ أَنْفُسَهُم ويُغَالِبُونَ أحاسِيسَهُم وَظُنونَهُم، فيَتَظَاهَرُونَ بِتَصْدِيقِ مَقُولَةِ قَيْصَرِهِم أَنَّ مَا وقعَ مَحْضُ صُدْفَةٍ ليس إلاَّ !..

الأميرُ الثَّاني

وَمُجَدَّدًا رُفِعَتِ الصُّلْبَانُ، وَنُصِبَ الْعَرْشُ وَأعادُوهُ كَمَا كَانَ، وَأُحْكِمَتْ قوَائمُهُ بِأَشَدِّ مَا يَكُونُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْأَمِيرِ الآخر أَخِي الأَمِيرِ الَّذِي اسْوَدَّ وَجْهُهُ أَمَامَ رِجَالَاتِ الْمَمْلَكَةِ، وَقَدْ انْحَنَتْ لَهُ الأَسَاقِفَةُ، وَأُعِيدَتْ لَهُ القَدَادِيسُ، وَأُحْرِقَ لَهُ البَخُورُ وَهُوَ يَصْعَدُ الدَّرَجَاتِ مُضْطَرِباً عَلى خِلَافِ أخيهِ الذي رَكِبَها مَزْهُوّاً، فما إنْ

(١) الغيبة للشيخ الطوسي، ص٢١١.

اسـتَوَى عـلى العَـرْشِ، حَتَّـى ارتَجَفَـتِ الأرضُ مِـنْ جَديـدٍ ارْتِجَافـاً اصْطَكَّـتْ لَهَـا رُكَـب الْقُـوَّادِ وَالرُّهْبَـانِ، فلَـمْ تُطِـقْ أرجُلُهـم حَمْـلَ أجْسَـادِهم، فَخَـرّوا إلى الأرضِ مُنْتَفِضِـينَ خَائِفِـينَ قـد ملكَهُـم الرعـبُ، وَخَـرَّ مَعَهُـم العَـرْشُ مَـرَّةً أُخْـرَى مُتَحَطِّـماً، وسَـقَطَ الأمِـيرُ الثَّـانِي، وجَـرَى عليـه مـا جَـرَى عـلى أخيـهِ مِـنْ قَبْـلُ، فَـازْدَادَ تَشَـاؤُمُهُم وَتَطَيُّرُهُـم أَشَـدَّ مِـنَ السَّـابِقِ وَتَفَـرَّقَ النَّـاسُ، وَقَـامَ القَيْـصَرُ مُغْتَـمّاً وَدَخَـلَ قَـصْرَهُ وَأُرْخِيَـتِ السُّـتُورُ[1]، وَأصْبَـحَ النَّهَـارُ الْـمَشْؤُومُ حَديـثَ أهْـلِ مَمْلَكَتِـهِ.

نُجُومُ الليل..

انْطَـوَى الْيَـوْمُ الْكَئِيـبُ الْـمُثْقَلُ بِالْأَحْـدَاثِ، وَحَـلَّ الـمساءُ، وَقَـدْ أَلْقَـى بِسَـوَادِهِ عَـلَى جَنْبَـاتِ الْقَـصْرِ، كأنـه بُقْعَـةٌ مُوحِشَـةٌ قَفْـرَآءُ، إلا مَكَانـاً وَاحِـداً.. ! شُرْفَـةَ غُرْفَـةِ الأمـيرةِ الْـمُقَدَّسَةِ.. !

كَدَلَـعِ صَبِيَّـةٍ خُمَاسِيَّـةٍ تَظهـرُ فَتَتـوارى كَانَـتْ نُجُـومُ ذَلـكَ اللَّيْـلِ تَخْنِـسُ مِـنْ وَرَاءِ سِـتَارَةٍ، فَيَخْـتَرِقُ ضِيَاؤُهَـا

(١) كمال الدين و تمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢، ص٤٢١.

مُحْمَلَ نَافِذَتِهَا، كَأَنَّ أَنْوَارَهَا تَتَرَاقَصُ فَرَحاً لِنجَاةِ مَلَاكِهَا، هُنَاكَ بَعْدَ أَن انْتَهَتِ الْأَمِيرَةُ مِنْ صَلَاتِهَا شُكْراً لله تَعَالى الَّذِي اسْتَنْقَذَهَا مِنْ أَمَرٍ كَادَ يُجْهِضُ حَيَاتَهَا، أَلقَتْ بِرَأْسِهَا عَلَى وِسَادَتِهَا، وأَخَذَتْ تَتَأَمَّلُ تِلْكَ النُّجُومَ، تُنَاجِيهَا وَتُتَمْتِمُ بِكَلِمَاتٍ تَبَادِلُهَا سُرُورَ الْخلَاصِ، غَلَبَهَا التَّعَبُ فَقَطَعَ أَحْرُفَهَا بِحَنَانٍ، ذَبُلَتْ شَفَتَاهَا فَغَفَتْ.. نَامَتْ عَلَى أُمْنِيَّةِ أَن يَسْتَبْدِلَهَا الرَّبُّ بِمَكَانٍ غَيرِ هَذَا الْقَصْرِ، هِي لَمْ تَرَ نَفْسَهَا مِنْ أَهْلِهِ حَيْثُ المُجُونُ والصَّخَبُ، كَانَتْ تَحِنُّ إلى بُيُوتِ الصِّدِّيقِيْنَ والصلحاءِ، وَلِسَانُ حَالِهَا: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي﴾[1]، تُذَكِّرُكَ بِآسِيَا بِنْتِ مُزَاحِمٍ فِي قَصْرِ فِرْعَوْنَ.

قَدَرُ الرب

ظَاهِرًا كَانَ أَهْلُ مَمْلَكَتِهَا يَرَوْنَ نُحُوسَةً فِي زَوَاجِهَا، وَبَاطناً كَانَ اللهُ تَعَالى يُعِدُّ لَهَا كَرَامَةً سَيَتَحَدَّثُ عَنْهَا التَارِيخُ، ويَنْسجُ لَهَا مُسْتَقْبَلاً سَيُغَيِّرُ مَلَامِحَ القَادِمِ مِنَ الأَيَّامِ، وَيُمهِّدُ لَهَا طَرِيقًا لِتَكُونَ فِي مَصَافِّ أعاظِمِ

(١) سورة التحريم آية ١١.

الْقِدِّيسِينَ والأولياءِ، فهي ليس مَكَانُهَا عِنْدَ أهْلِ الأَرْضِ، هُمْ لَا يَسْتَحِقُّونَهَا !..

فَالرَّبُّ اخْتَارَ لَهَا مَكَانَةً حَيْثُ تَسْتَحِقُّ أَنْ تَكونَ، هِي فِي طَهَارَةِ الْبَتُولِ مَرْيَمَ، كَالْعَذْرَاءِ عليها السلام لَا يَهُمُّهَا رَأْيُ النَّاسِ، بَلْ هَمُّهَا رَبُّ النَّاسِ.

لَيْلَةَ رَأَت الْمَسِيحَ عليه السلام

فِي ذَاكَ المساءِ حَيْثُ اللَّيْلُ أَرْخَى سُدُولَهُ، وَانْتَشَرَ ظَلَامُهُ، لَا تَسْمعُ إلا تَسْبِيحَاتِ جَنَادِبَ مَعَ تَرَاتِيلِ نَقِيعِ الضَّفَادِعِ، رَأَتْ رُؤْيَا فِي الْمَنَامِ، رأتْ كَأَنَّ الْمَسِيحَ وَشَمْعُونَ عليهما السلام وَعِدَّةً مِنَ الحوَارِيِّينَ قَدِ اجْتَمَعُوا فِي قَصْرِ جَدِّهَا، وَنَصَبُوا فِيهِ مِنْبَراً يُبَارِي السَّمَاءَ عُلُوّاً وَارْتِفَاعاً، فِي «الْمَوْضِعِ» الَّذِي كَانَ جَدُّهَا نَصَبَ فِيهِ عَرْشَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ النبي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم، وَخَتَنُهُ وَوَصِيُّهُ عَلِيُّ بن أبي طالب عليه السلام مَعَ عِدَّةٍ مِنْ أهلِ بَيْتِهِ عليهم السلام [1]، فَقَامَ إِلَيْهِمُ الْمَسِيحُ عليه السلام وتقدم إلى رسولِ الله صلى الله عليه وآله فاعْتَنَقَا، وهما فرِحَانِ مَسْرُورَان، فَقَالَ

(١) كمال الدين و تمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢، ص٤٢١.

لَـهُ رسـولُ الله ﷺ مبتسـماً:

يَـا رُوحَ الله، إِنِّي جِئْتُـكَ خَاطِبـاً مِـنْ وَصِيِّـكَ شَـمْعُونَ، فَتَاتَـهُ وابنتَـهُ مليكـةَ، لِابْنِي هَـذَا وَأَوْمَـأَ بِيَـدِهِ إلى أَبِي مُحَمَّـدٍ عليه السلام[1].

فَـنَـظَـرَ الْـمَـسِـيـحُ عليه السلام مسـروراً إلـى وصيِّـهِ شَـمْعُونَ عليه السلام[2]، فَقَـالَ:

قَـدْ أَتَـاكَ الـشَّرَفُ، فَصِـلْ رَحِمَـكَ بِرَحِـمِ رَسُـولِ الله ﷺ.

قَامَ شَمْعُونُ عليه السلام فَرِحاً وَقَالُ مُبْتَهِجاً:

قَدْ فَعَلْتُ يا نَبِيَّ الله.

فَصَعِـدُوا ذَلِـكَ الْـمِنْبَرَ، فَخَـطَـبَ النبـيُّ مُحَمَّـدٌ صلى الله عـلـيـه وآلـه وسـلـم، وَزَوَّجَـهـا مِنْ ابْـنِـهِ، وَشَـهِـدَ الْـمَسِيحُ عليه السلام، وَشَـهِدَ أَبْنَـاءُ الرسـولِ الأكـرم ﷺ، وَالْحَوَارِيُّـونَ[3] عليهم السلام.

---

(١) دلائل الإمامة، ابن جرير الطبري، ص٤٩٣.

(٢) وصي الله شمعون الصفا ويُسمى عند المسيحيين بالقديس بطرس.

(٣) دلائل الإمامة، ابن جرير الطبري، ص٤٩٣.

ضُرِبَ صَدْرِي بِمَحَبَّةِ أَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام

لَقَدْ قَلَبَتْ تِلْكَ الرُّؤْيَا حَالَ الْأَمِيرَةِ، وَأَيْقَنَتْ بِصِدقِ رُؤْيَاهَا، وَهِيَ الَّتِي لَمْ تَعِشْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَعِيدَةً عَنْ رَبِّهَا، تَعْلَمُ طَهَارَةَ نَفْسِهَا الْمُهَيَّئَةِ لِمِثْلِ هَذِهِ الْبِشَارَةِ، وَتَعْلَمُ أَنَّ تِلْكَ الأَنوارَ الَّتِي رَأَتْهَا فِي مَنَامِهَا هِيَ لِشُخُوصِ الأنبياءِ والأوصياءِ عليهم السلام، وَلِذَا لَمْ تَشُكَّ مُطْلَقاً بِصِدْقِ رُؤْيَاهَا، وَقَدْ تَعَلَّقَ قَلْبُهَا بِجَمَالِ وَنُورِ خَطِيبِهَا الَّذِي رَأَتْهُ فِي مَنَامِهَا، لقَدْ طُبِعَتْ صُورَتُهُ عَلَى شغَافِ قَلْبِهَا، ولَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَسْمَحَ بِأَنْ يُغَادِرَ خَيَالُهُ ذِهْنَهَا، تَقُولُ الأَمِيرةُ الْمُقَدَّسَةُ:

فَلَمَّا اسْتَيْقَظْتُ مِنْ نَوْمِي أَشْفَقْتُ أَنْ أَقُصَّ هَذِهِ الرُّؤْيَا عَلَى أَبِي وَجَدِّي مَخَافَةَ الْقَتْلِ، فَكُنْتُ أُسِرُّهَا فِي نَفْسِي، وَلَا أُبْدِيهَا لهمْ، وَضُرِبَ صَدْرِي بِمَحَبَّةِ أَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام، حَتَّى امْتَنَعْتُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَضَعُفَتْ نَفْسِي، وَدَقَّ شَخْصِي، وَمَرِضْتُ مَرَضاً شَدِيداً، فَمَا بَقِيَ فِي مَدَائِنِ الرُّومِ طَبِيبٌ إِلَّا أَحْضَرَهُ

جَـدِّي وَسَـأَلَهُ عَـنْ دَوَائِـي[1].

لو كَشَفْتَ العَذَابَ

وَمَـرَّتْ الأَيَّـامُ، وَالْحُـبُّ والشَّـوْقُ يَشْـتَعِلُ فِي قَلْبِهَـا، وحَالَتُهَـا تَـزْدَادُ سُـوءًا حَتَّـى شَـارَفَتْ عَـلَى الْهَـلَاكِ، وَبَـرَحَ بِجَدِّهَـا الْيَـأْسُ، فَقَـالَ لَهَـا ذَاتَ يَـوْمٍ مِـنْ بَعْـدِ إيـاسٍ:

قُـرَّةَ عَيْنِـي يـا مليكـة، يَخْطُـرُ بِبَالِـكِ شَـهْوَةٌ فَأُزَوِّدَكِهَـا فِي هَـذِهِ الدُّنْيَـا؟

فَقَالَتْ الْأَميرَةُ الْـمُقَدَّسَةُ عليها السلام:

يَـا جَـدِّي، أَرَى أَبْـوَابَ الْفَـرَجِ عَـلَيَّ مُغْلَقَـةً، فَلَـوْ كَشَـفْتَ الْعَـذَاب عَمَّـنْ فِي سِـجْنِكَ مِـنْ أُسَـارَى الْـمُسْلِمِينَ، وَفَكَكْـتَ عَنْهُمْ الْأَغْـلَالَ، وَتَصَدَّقْتَ عَلَيْهِـمْ، وَمَنَّيْتَهُـمْ بِالْـخَلَاصِ، رَجَـوْتُ أَنْ يَهَـبَ لِي الْـمَسِيحُ وَأُمُّـهُ الْعَافِيَةَ وَالشِّـفَاءَ.[2]

فجِيـئَ بأُسَـارَى مُكَبَّلِـينَ بِمَحْـضَرِ الْـمَلِكِ، فَأَمَـرَ بِفَـكِّ السَّلَاَسِـلِ والْقُيُـودِ عَنهُـمْ وأطْلَـقَ سَرَاحَهـم، فَلَـمَّا فَعَـلَ ذَلِكَ

(١) دلائل الإمامة، ابن جرير الطبري، ص٤٩٣.

(٢) دلائل الإمامة، ابن جرير الطبري، ص٤٩٤.

تَجَلَّدَتْ الأميرةُ فِي إِظْهَارِ الصِّحَّةِ فِي بَدَنِها، وَتَنَاوَلَتْ يَسِيراً مِنْ الطَّعَامِ، فَسُرَّ بِذَلِكَ جَدُّها، وَأَقْبَلَ عَلَى إِكْرَامِ الْأُسَارَى وَإِعْزَازِهِم[1].

تَعَلَّقَتْ بِأَذْيَالِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام

بَعْدَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً مِنْ مَسَاءِ يَومِ المهْرَجَان كَانَ لَهَا مَوْعِدٌ آخَرُ مَعَ أَهْلِ السماءِ، فَقَدْ هَبَطَتْ أَنْوَارُ أَفْضَلِ نسآءِ أَهْلِ الجنَّةِ مَعَ الحُورِ وَالْوصَائفِ لِتَلْتَقِيَ مَعَ الْقِدِّيسَةِ الجدِيدَةِ الَّتِي عُمِّدَتْ لِالْتِقَاءِ أَكْبَرِ دِيانَتَيْنِ سَمَاوِيَّتَيْنِ عَلَى وَجْهِ الأرضِ، وَقد اُصْطُفِيَتْ لِمُهِمَّةٍ غايةٍ في الشَّرفِ والخطورةِ، وَالَّتِي سَتَتَكَشَّفُ لَهَا بِمُرُورِ الْأَيَّامِ، فَقَدْ رَأَتْ فِي مَنَامِهَا هذه المرَّةَ سَيِّدَةَ نسَاءِ العالمين فَاطِمَةَ الزهراء بنتَ محمدٍ صلى الله عليه وآله، وَبِجوَارِهَا السَّيِّدَةُ الْبَتُولُ مَرْيَمُ بنتُ عِمْرَانَ عليها السلام، وَمَعهُما أَلْفٌ مِنْ وصَائفِ الجنَانِ يشعُّ نُورُهُنَّ فيضيءُ اللَّيْلَ الغارق في الظلمةِ كَأَنَّهُ نهَارٌ، فَأَشَارَتْ لَهَا العذراءُ مَرْيَمُ عليها السلام تُخَاطِبُهَا وَتُعَرِّفُهَا عَلَى مَنْ هِي وَاقِفَةٌ بِحضرتِهَا:

(١) دلائل الإمامة، ابن جرير الطبري، ص٤٩٤.

هَذِهِ سَيِّدَةُ النِّسَاءِ أُمُّ زَوْجِكِ أَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام[1].

زَوْجُهَا يَكُونُ مِنْ نَسْلِ فاطمة الزَّهْرَاءِ عليها السلام مِنْ جِهَةِ آبَائِهِ عليهم السلام، هُنَاكَ انْكَبَّتْ الْأَمِيرَةُ مَلِيكَةُ عِنْدَ قَدَمَي الزهرآء سَيِّدَةِ نِسَاء الْعَالَمِينَ، وَجَلَسَتْ وهِي مُتَعَلِّقَةٌ بأطرافِ ثَوْبِهَا تَتَبَرَّكُ بِهِ وتَتَوَسَّلُ بِهَا فترْجُوهَا، تَقُولُ الْأَمِيرَةُ الْمُقَدَّسَةُ عليها السلام تَصِفُ الْمَوْقِفَ:

فَأَتَعَلَّقُ بِهَا وَأَبْكِي، وَأَشْكُو إِلَيْهَا امْتِنَاعَ أَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام مِنْ زِيَارَتِي[2].

لا يَزُورك!

هُنَالِكَ رَقَّتْ لَهَا السَّيِّدَةُ الزَّهْرَاءُ عليها السلام، فهي هَبَطَتْ مِنَ السماءِ إلى الْأَرْضِ فِي مُهِمَّةٍ خَاصَّةٍ بِشَأْنِهَا، ولَا بُدَّ أَنْ تُؤَدِّيهَا لَهَا، فَقَالَتْ تُخَاطِبُهَا بِحَنَانِ الْأُمُومَةِ:

..إِنْ مِلْتِ إلى رِضَا الله وَرِضَا الْمَسِيحِ ومَرْيَمَ عَنْكِ، وَزِيَارَةِ ابْنِي أَبِي مُحَمَّدٍ إِيَّاكِ، فَقُولِي: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله[3].

(١) دلائل الإمامة، ابن جرير الطبري، ص٤٩٤.

(٢) دلائل الإمامة، ابن جرير الطبري، ص٤٩٤.

(٣) دلائل الإمامة، ابن جرير الطبري، ص٤٩٤.

العذراءُ مَرْيَمُ عليها السلام بِجِوَارِ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ الزهراءِ عليها السلام تُقِرُّهَا عَلَى كلامِها، وتَهِزُّ رأسَهَا تُوَافِقُهَا عَلَى مَقَالتِها، وَمِنْ ثَمَّ تُومِئُ لِلْأَمِيرَةِ أَنْ أَقَرِّي بِمَا قَالَتْ وَتَشَهَّدي الشهادتينِ.

تَقُولُ الْأَمِيرَةُ الْمُقَدَّسَةُ عليها السلام:

فَلَمَّا تَكَلَّمْتُ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ ضَمَّتْنِي سَيِّدَةُ النِّسَاءِ إِلى صَدْرِهَا، وَطَيَّبَتْ نَفْسِي، وَقَالَتْ: الْآنَ تَوَقَّعِي زِيَارَةَ ابْنِي أَبِي مُحَمَّدٍ إِيَّاكِ، فَإِنِّي مُنْفِذَتُهُ إِلَيْكِ. فَانْتَبَهْتُ وَأَنَا أتوقعُ لقاءَ أبي مُحَمَّدٍ عليه السلام وأَقُولُ: وَا شَوْقَاهْ إلى لِقَاءِ أَبِي مُحَمَّدٍ[1].

غَطَسَتْ فِي الغُرُوبِ

مَضَتْ سَاعَاتُ هَذَا النَّهَارِ مُتَبَاطِئَةً، الْوَقْتُ اِمتَنَعَ أَنْ يَمضِيَ، هِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَغْفُوَ لِلَحْظَةٍ لِتَرَى الشَّمْسَ وقَدْ غَطَسَتْ فِي الْغُرُوبِ، لِتُغْمِضَ جَفْنَيْهَا، آهٍ شَوْقًا إلى الحبيبِ..

(١) دلائل الإمامة، ابن جرير الطبري، ص٤٩٤.

جَاءَ اللَّيْلُ وَلَهَا مَعَ مَصَابِيحِهِ قَصَصٌ، تِلْكَ الْمُعَلَّقَةُ فِي السَّمَاءِ كَانَتْ تَتَرَاءَى مِنْ خَلْفِ سِتَارَتِهَا الْبَيْضَاءِ، تَتَلَأْلَأُ وَكَأَنَّهَا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ تَرَى لَوْنَ الزَّهْرِ فِي لَمَعَانِهَا، تَهُبُّ نَسْمَةُ هواءٍ فتُدَاعِبُ مُخْمَلَ بُرْدَتِها، فَيَتَكَسَّرُ ضِيَاءُ النُّجُومِ عَلَى سَطْحِهَا كما يَتَكَسَّرُ ضَوءُ القَمَرِ على أمواجِ البَحْرِ الهَادِئِ، لكنْ سَرْعَانَ مَا ينْزَوِي فَيَرْتَدَ مُتَلأْلِئاً، كأنَّ تِلْكَ المَصَابِيْح تُرِيدُ أنْ تَزُفَّ لَهَا بِشَارَةَ الأمَلِ، فاسْتَسْلَمَتْ الأَمِيرَةُ لِلنَّومِ.

لِمَ جَفَوتَنِي يَاحَبِيبي؟!

كَمَا يَلِينُ الصَّغِيرُ لِمَهْدِهِ والْوَلِيدُ لِدِفْءِ حِضْنِ وَالِدَتِهِ، ذَهَبَتْ فِي نَومٍ عَمِيقٍ وَرَحَلَتْ فِي أَحْلَامِهَا، هُنَاكَ لَا أَدرِي أَيْنَ، لَكِنَّهُ فِي الْعَالَمِ الْآخَرِ، عَالَمٍ شَفَّافٍ ورديٍّ رَهِيف، لَا يُعْرَفُ كُنْهُهُ ومَا هُوَ، غَيْرَ أنَّ الرّوحَ تَجَرَّدَتْ عن الجسَدِ، هُنَاكَ رَأَتْ حَبِيبَهَا..

احمرَّ مُحَيَّاهَا وَقَدْ تَكَثَّفَ نَدَى الحياءِ قَطَرَاتٍ فَوْقَ جَبِينِهَا، لَمْ تَجْرُؤْ أَنْ تَمُدَّ يَدَهَا لِتَمْسَحَ ذَاكَ الْعَرَقَ الَّذِي كَانَ بِرَائِحَةِ الْوَرْدِ، لِبُرْهَةٍ مِنِ الزَّمَنِ صَمْتُ الْعُشَّاقِ يَسُودُ

الْـمَـوْقِفَ، لَفَتُـهَا لَـهُ دفعتـهَا لِلْكَـلَامِ، تَلَعْثَمَـتْ قَلِيـلاً فَحَـرَّكَتْ شَفَتَيْـهَا وقَالَـتْ لَـهُ مُعاتِبَةً:

لِمَ جَفَوْتَنِـي يَـا حَبِيبِـي بَعْـدَ أَنْ شَـغَلْتَ قَلْبِـي بِجَوَامِـعِ حُبِّـكَ[1]، وَقـد أَتْلَفْـتُ نَفْـسِي مُعَالَجَـةَ حُبِّـكَ؟![2]

عَرْشُ الطَّهَارَةِ

ليـسَ كَكُلِّ حُـبٍّ، لم يَكـنْ غَرَامُهـا مَشُـوباً بالآثـامِ كـما هـي أكثـرُ قَصَـصِ العُشَّـاقِ، بـل كَانَ حُبّـاً نَقِيّـاً مَلائِكِيَّـاً أَرَادَتْ لِروحِهـا العـروجَ إلى حيـثِ عَـرْشِ الطهـارةِ وَالكـمالِ.

أَطْرَقَ بِرَأْسِهِ إلى الْأَرْضِ وَهُوَ يَقْطُرُ حياءً فَأَجابَهَا:

..إِذْ قَـدْ أَسْـلَمْتِ فَـإِنِّي زَائِـرُكِ كُلَّ لَيْلَـةٍ إلى أَنْ يَجْمَـعَ اللهُ شَـمْلَنَا فِي الْعَيَـانِ.[3]

أعشَاشُ الطُّيورِ

وَهَكَـذَا كَانَ، صَـارَتْ تَحِـنُّ لِغُـرُوبِ كُلِّ يَـوْمٍ، كَـمَا تَحِـنُّ

(١) دلائل الإمامة، ابن جرير الطبري، ص٤٩٤.

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي ص٢١٣.

(٣) دلائل الإمامة، ابن جرير الطبري، ص٤٩٤.

الطُيُورُ لِأَعْشَاشِهَا، وَكَانَ عليه السلام يُؤنِسُهَا بِرُؤْيَتِهِ، فَمَا قَطَعَ الإمامُ عليه السلام عَنْهَا زِيَارَتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، بَلْ كَانَتْ تَرَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رُؤْيَاهَا عِنْدَمَا تَخْلُدُ إلى الْمَنَامِ، مَا كَانَ عِشْقاً شَهْوَانِيًّا كَمَا فَعَلَتْهُ زُلَيْخَا ليُوسُفَ عليه السلام تريدُ وِصَالَ الأجساد، بَلْ حُبّاً ملكوتِيّاً تتصلُ فيه الروحُ بالروحِ كَحُبِّ فَاطِمَةَ وعَلِيٍّ وحُبِّ مُحَمَّدٍ وخَدِيجَةَ عَلَيهِمْ جَمِيعاً أفْضَلُ الصَّلَاةِ والتَّسْلِيم، وَهَكَذَا اسْتَمَرَّ الْإِمَامُ أبو مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيُّ عليه السلام يَرْتَادُهَا فِي رؤاهَا كُلَّ لَيْلَةٍ، ودَامَ الْأَمْرُ زَمَنًا طَوِيلاً كَأَكْثَرِ رُؤْيَا تَكَرَّرَتْ فِي التَّارِيخِ امتَّدتْ لِسَنَوَاتٍ..

رِحْلَةُ القِدِّيسِينَ

هي رحلةٌ حيثُ يجدُ الصِّدِّيقُونَ أنفسَهم، لاَ يَمْنَعُهُمُ مُجْتَمَعٌ وَلاَ رَحِمٌ، للحظةٍ وقفتْ واتَّخَذَتْ قراراً كالأمِيرَةِ آسِيَةَ بِنْتِ مُزَاحِمٍ زَوجُ فِرْعَوْنِ مِصْرَ، قَرَّرَتْ أنْ تَسْتَعِيضَ أهْلاً بأهْلٍ، موقفُ آسِيَة كان موقفَ تَحَدٍّ لِمَنْ يَدّعي أنه إلهٌ، فحتَّمَ عليها المُجَاهرةَ حتى وهي تَحْتَ

عـذابِ الأوتـادِ و يُمشِّـطُ لحمَهَـا أسْـنَانُ الحَدِيـدِ، وهنـاك أُرِيَـتْ بيتَهـا في الـجَنَّةِ فَابْتَسَـمَتْ حَتَـى كَادَ أنْ يُجـنَّ فِرْعَـوْنُ، أمّـا الأميـرةُ الـمُقَدَّسَةُ فـكان موقفُهـا يُحتِّـمُ عليهـا أن تكـونَ غايـةً في الكِتْـمانِ، لا تَنْبِـسُ بِبِنْـتِ شَـفَةٍ لأحـدٍ مطلقـا، إذ هـيَ مُدَّخـرةٌ لخـلاصِ أهـلِ العـالَمِ، فكانـت تنتظـرُ الفَـرَجَ مِـن اللهِ تَعَـالى، فـكان لهـا مـا أرادتْ..

فِفِـي لَيْلَـةٍ مِـنَ اللَّيَـالِي لَـنْ تَنْسَـاهَا مَـا حَيِيَـتْ أَخْبَرَهَـا حَبِيبُهَـا أَنَّـهُ قَـدْ قَـرُبَ وقـتُ الْإِلْتِقَـاءِ عَيَانـاً فِي عَـالِمِ اليَقَظَـةِ لَا النَّـوْمِ، وَآنَ أوَانُ خلَاصِهَـا مِـنْ هَـذَا الْقَـصْرِ الَّـذِي يَسْـجُنُ أَرْوَاحَ الْقِدِّيسِـينَ.

لَمْ تَحْمِلْهَـا أَرْضُهَـا مِـنْ عِظَـمِ الْفَـرَحِ، وَكَادَتْ أَنْ تُغَـادِرَ نَوْمَتَهَـا لِشِـدَّةِ الـسُّرُورِ.. مَهْـلَاً لَا تَذْهَبِـي، قِفِي لَا تَسْـتَيْقِظِي، كَأَنَّـهُ هَكَـذَا يُخَاطِبُهَـا، أَرَادَ إِخْبَارَهَـا أَنَّهَـا عَـلَى مُفْـتَرَقِ طَرِيـقٍ قَـدْ يُغَـيِّرُ مَجْـرَى حَيَاتِهَـا ولِلْأَبَـدِ، وأَنَّ لِـذَاكَ ثَمَنًـا يُقَـدَّمُ عَـلَى مَذْبَـحِ الْقَرَابِـينِ، فَهَـلْ هِـي مُسْـتَعِدَّةٌ لِلدَّفْـعِ والتَّضْحِيَـةِ راضيـةٌ مـن عميـقِ قلبِهـا؟!

على مَذْبَحِ القَرَابِين!

وَكَأَنِّي بِهِ لتهيئَتِهَا أَخَذَ يُحَدِّثُهَا عَنْ قَرَابِينِ آلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام، تَحَدَّثَ لَهَا عَنْ أميراتِ آلِ محمَّدٍ عليهنَّ السلامُ، عن الأَمِيرَةِ فَاطِمَةَ عليها السلام، عن قُرْبَانِهَا حَيْثُ كُسِرَ ضِّلعُهَا وهُتِكَ سِتْرُهَا وأُسْقِطَ جَنِينُهَا، وتَكَلَّمَ لَهَا عَنْ عقيلتهم، عن الأَمِيرَةِ زَيْنَبَ عليها السلام، وَآهٍ مِنْ قُرْبَانِ زَيْنَبَ.. لَمْ يَشْهَدِ التَّارِيخُ أُخْتاً جَثَتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا ووَضَعَتْ كَفَّيْهَا تَحْتَ جَسَدِ أَخِيهَا الْمُقَطَّعِ ورَمَقَتْ بِطَرْفِهَا إلى السماءِ تُخاطِبُ ربَّها راضِيَةً: "**اللهُمّ تَقَبَّلْ مِنَّا هَذَا الْقُرْبَانَ**"، إلاَّ شَقِيقَةَ الحسَيْنِ بنِ عَلِيّ عليه السلام.

أَمِيراتُ آلِ محمدٍ عليهم السلام

لَمْ تُقَدِّمْ زَيْنَبُ أَخَاهَا فَقَطْ وَتلوَّعَتْ بِمُصَابِ الْفِرَاقِ، بَلْ كَأَنِّي بِهِ أَمْعَنَ وَأَطَالَ حَدِيثَهُ عَنْهَا وَعَنِ بَقِيَّةِ الأميرات، الرَّبَابِ وَسَكِينَةَ وَأُمِّ كُلْثُومٍ وَرُقْيَةَ الصَّغِيرَةِ وبَقِيَّةِ نساءِ كَرْبَلاءَ عليهن السلام، وقِصَّةِ أَسْرِهِنَّ، وكيف سِيقَتْ سَبَايَا قَدْ هُتِكَتْ سُتُورُهُنَّ، وَأُبْدِيَتْ وُجُوهُهُنَّ، يَحْدُو

بِهِنَّ الْأَعْدَاءُ مِنْ بَلَدٍ إلى بَلَدٍ، وَتَسْتَشْرِفُهُنَّ الْمَنَاقِلُ[1]، وَيَتَبَرَّزْنَ لِأَهْلِ الْمَنَاهِلِ[2]، وَيَتَصَفَّحُ وُجُوهَهُنَّ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، وَالشَّرِيفُ وَالْوَضِيعُ، وَالدَّنِيُّ وَالرَّفِيعُ، لَيْسَ مَعَهُنَّ مِنْ رِجَالِهِنَّ وَلِيٌّ، وَلَا مِنْ حُمَاتِهِنَّ حَمِيٌّ،[3] حَتَّى وَصَلَ سُوءُ الْحَالِ أَنْ طَمِعَ الْبَغْضُ فِي إحداهِنَّ، وَطَلَبَ مِنْ يَزِيدَ أَنْ يهبَهَا لَهُ[4]، وَكَأَنِّي بالأميرةِ الْمُقَدَّسَةِ لَمَّا سَمِعَتْ بِذَلِكَ جَثَتْ على الأرْضِ وَقَبَضَتْهَا بِكِلْتَا كَفَّيْهَا فحَنَّتْ وَأَنَّتْ وَأَجْهَشَتْ بِالْبُكَاءِ وأعْوَلَتْ كالْوَالِهَةِ الثَكْلَى..

الْوُقُوعُ فِي الْأَسْرِ

هَذَا قَدَرُ الْقِدِّيسَاتِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ، وهذا قُرْبَانُهُنَّ، ولَا بُدَّ مِنْ سُلُوكِ الطَّرِيقِ، فَأَبْدَتْ اسْتِعْدَاداً لِتَتَأَسَّى بِتِلْكَ الْقَرَابِينِ الطَّاهِرَاتِ، حِينهَا أَخْبَرَهَا بِمَا سَيَجْرِي عَلَيْهَا مِنْ صُعُوبَاتٍ ومَصَائِبَ وَمِحَنٍ.. فَحَدَّثَهَا وَقَالَ لَهَا:

---

(١) المناقل: المراحل، أي ينظر لهن أهل القوافل، و قيل المناقل جمع منقل و هو الطريق في الجبل، ومعناه حينها و ينظر لهن أهل الطرق.

(٢) المناهل: مواضع شرب الماء في الطريق. ويتبرزن أي يظهرن فيراهن أهل تلك المواضع.

(٣) الإحتجاج على أهل اللجاج (للطبرسي)، ج٢، ص٣٠٨.
اللهوف على قتلى الطفوف للسيد ابن طاووس الحلي، ص١٠٦.

(٤) الارشاد، للشيخ المفيد، ج٢، ص٤٧٤.

إنَّ جَـدَّكِ سَيُسَـيِّرُ جُيُوشـاً إلى قِتَالِ الْـمُسْلِمِينَ يَوْمَ كَـذَا، فَعَلَيْكِ بِاللَّحَاقِ بِـهِ، مُتَنكِّرَةً فِي زِيِّ الْـخَدَمِ، مَـعَ عِـدَّةٍ مِـنَ الْوَصَائِـفِ، مِـنْ طَرِيقِ كَـذَا[1].

لَـمْ تَكُـنْ رِحْلَتُهَـا مَـنْ أجْـلِ لِقَـاءِ حَبِيبَـيْنِ وَتَأدِيَـةِ الرِسَـالَةِ التِّـي أنَـاطَـهَـا اللهُ بِـهَـا فَـقَـطْ، بَـلِ إنَّ الإمَـامَ العَسْـكَرِيَّ عليه السلام بأمـرِهِ إيَاهَـا بالرَّحِيـلِ اسْـتَبَقَ الأَحْـدَاثَ التِّـي كَانَـتْ سَـتَجْرِي عـلى عَائِلَتِهَـا وَاسـتَنْقَذَهَا مِـنَ النَّكْبَـةِ التِّـي كَانَـتْ سَـتَحُلُّ عَلَيْهَـا، إذْ تَـمَّ الانْقِـلاَبُ عَـلى جَدِّهـا وقَتْلِـهِ فِيـمَا بَعْـد، وَانْتَهَـى حُكْـمُ سُـلاَلَتِها.

امْتَثَلَـتِ الأَمِـيرَةُ لِمَـا قَالَـهُ لَهَـا حَبِيبُهَـا، فَـكَانَ أَنْ وَقَـعَ جَمِيـعُ مَـا حَدَّثَهَـا بِـهِ، إذْ أَنَّ جَدَّهَـا مَلِـكَ الـرُّومِ جَهَّـزَ جَيْشَـاً جَـرَّاراً مِـنْ جُنْـدِهِ وَمُقَاتِلِيْـهِ، وقَـادَ بِنَفْسِـهِ حَمْلَـةَ الـحروبِ تِلْـكَ، و يَظْـهَـرُ مِـنْ بَـعْـضِ كُـتُـبِ التَّارِيـخِ أنَّ جَدَهَـا خَـاضَ مَعَـارَكَ شَرِسَّـةً قَتَـلَ فِي إحْدَاهَـا قَائِـدَ جُنْـدِ الـمُسْلِمِينَ[2] مَعَ ألفَـيْنِ مِـنْ عَسَـاكِرِهِ، إلاَّ أنَّ تِلكَ الـحُروبَ

(١) دلائل الإمامة، ابن جرير الطبري، ص٤٩٤.

(٢) فقد اورد ابن كثير أورد في حوادث عام ٢٤٩ هـ الموافق ٨٦٣ م أي بعد ٢٦ سنة من معركة عمورية أنه في يوم الجمعة للنصف من رجب، التقى جمع من المسلمين وخلق من الروم، بالقرب من ملطية-تقع في تركيا قرب

كَانَتْ بَيْنَ مَدٍّ وجَزْرٍ ،كَمَا أنَّ غَارَاتِ السَّرَايَا فِيمَا يُشْبِهُ حَرْبَ العِصَابَاتِ كَانَتْ تَشِلُّ الحَرَكَةَ الثَّقِيلَةَ لِلجُيُوشِ الضَّخْمَةِ، تَسْتَهلِكُ قُوَّتَهَا وتستَنْزِفُها بِمرُورِ الوَقْتِ.

وَقَدْ كَانَ مِنْ عاداتِهِمْ فِي حُروبِهِمُ الطَّوِيلَةِ وَالْكَبِيرَةِ أَنْ يَأْخُذُوا مَعهُمْ بَعْضَ نسائِهِم وجَوَارِيهِم، فَهَيَّأَتْ هَذِهِ الْحَرْبُ الْفُرْصَةَ للأَمِيرَةِ مَلِيكَةَ عليها السلام، وأَمْكَنَتْهَا مِنَ اللّحَاقِ مَعَ وَصِيفَاتِهَا خَلْفَ جَيْشِ جَدِّهَا.

ثُمَّ أَنَّهَا فَعَلَتْ مَا أَمَرَهَا بِهِ الإمامُ الْحَسَنُ الْعَسْكَرِيُّ عليه السلام، وَسَلَكَتْ الطَّرِيقَ الَّذِي أَرْشَدَهَا إليْهِ، فَوَقَعَتْ عَلَيْهَا طَلَائِعُ جَيْشِ المُسْلِمِينَ وأَسَرَتْهَا[1] في منطَقَةٍ تَقَعُ فِي أعَالِي نَهْرِ الفُرَات[2]

وَاهَتْكَ سِتْرَاه!..

وَسِيقَتْ الأميرةُ مَلِيكَةُ أَسِيرَةً مَعَ سَبَايَا الرُّومِ،

نهر الفرات-، فاقتتلوا قتالا شديدا، وقد قتل من الفريقين خلق كثير وقتل أمير جند العباسيين آنذاك. انظر: البداية والنهاية، ج١١، ص٦.

(١) دلائل الإمامة، ابن جرير الطبري، ص٤٩٤.

(٢) اذا المعارك في تلك الحقبة كانت تتركز فيها ومن قرينة انها نقلت بالقوارب في نهر الفرات، تم الاستنتاج انها أسرت في تلك المنطقة. و الله العالم.

وخَلَطتْ نَفْسهَا مَعَ الإماءِ، وَبَدَّلَتْ اسْمَهَا مِنْ مَلِيكَةَ إلى نَرْجِسَ مَخَافَةَ أَنْ تُعْرَفَ، وَجَرَتْ الاقدارُ أن تُعْرَضَ الأميرةُ عليها السلام، في سوقِ النخَّاسينَ حَيثُ تُبَاعُ الإماءُ وأُسَارَى الحُرُوبِ في ذاكَ الزَّمَانِ، وَامْتَنَعَتْ عَنِ الْعَرْضِ أمامَ النَّظَّارَةِ والْمُشْتَرينَ وكَذَا عَنِ السُّفُورِ خِلَافًا لِبَقِيَّةِ السّبَايَا مِنَ الرُّومِ، بَلْ ظَلَّتْ تَلْبِسُ لِبَاساً سَاتِراً مُحْتَشِماً، هناك في ذاك السوقِ حيثُ لا يباعُ إلا البشرُ، غَضِبَ النَّخَّاسُ بائعُ الإماءِ وأخذَ يَضْرِبُهَا.. يَضْرِبُ الأَميرةَ ابنةَ الملوكِ السَّيدةَ المدللةَ الجليلةَ، وَهيَ تَصْرُخُ صَرْخَةً تبكي وَتَقُولُ بِلِسَانِهَا الرُّومِيّ:

وَا هَتْكَ سِتْرَاه !.. وَا هَتْكَ سِتْرَاه !.. وَا هَتْكَ سِتْرَاه[1] !..

المَصِيرُ المَجْهُولُ

أمَّا فِي مَمْلَكَةِ الرُّومِ فَلقَدْ كَانَ لِاخْتِفَاءِ الأَمِيْرَةِ المُقَدَّسَةِ وَقْعُ الصَّاعِقَةِ عَلى قَلبِ جَدِّهَا، فَقَدْ حَزَنَ عَلَيْهَا حُزْنَاً شَدِيدَاً، فَأَخَذَ يَبْعَثِ السَّرَايَا وَالعُيُونِ فِي كُلِ حَدبٍ وَصَوبٍ وَلَكِنْ مَا مِنْ نَتِيجَةٍ، فَهَلْ هِيَ أَسِيرَةٌ

(١) كمال الدين و تمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢، ص٤١٩

بِيَدِ الْمُسْلِمِينَ أَمْ خَطَفَهَا بَعْضُ القَساوِسة الفاسدينَ، أم هَلْ تَرَهَّبَتْ كَمَا هِيَ عَادَةُ كَثِيرٍ مِنَ الأَمِيرَاتِ وَلَمْ تَشَأْ أَنْ يَطَّلِعَ أَحَدٌ عَلى شَخْصِيَّتِهَا، أَمْ أَنَّهَا غَرِقَتْ مَعَ وَصِيفَاتِهَا حَيْثُ كُنَّ فِي قَارِبٍ يُقَلُّهُنَّ فِي نُزْهَةٍ قُرْبَ أَجَمَةٍ عَلى شَاطِئِ النَّهْرِ، الإِشَاعَاتُ تَتَرَا لا تَنْقَطِع مِنْ هُنَا وَهُنَاكَ، وَكَانَ يُقْلِقُهُ مَصِيرُهَا الْمَجْهُولُ، فَأَعْدَاؤُهُ كَثِيرُونَ.

نهَايةُ القَيصَر

وقد تَزَامَنَ ذَلكَ مع اسْتِفْحَال الخِلافِ مَع رَأسِ الكَنِيسَةِ، مِمَا حَدَا بِالقَيصَرِ إلى عَزْلِهِ، وَنَصَّبَ رَئِيسَ أَسَاقِفَةٍ جَدِيداً[1] فَنَشَبَ خِلافٌ كَبِيرٌ، تَمَّ عَلى إِثْرِهِ

(١) لقد كان الملوك هم مَنْ يعينون البطارقة-رئيس الاساقفة- و البابوات في مناصبهم، ويخرجونهم منها، ويدعون المجالس الكنيسية إلى الانعقاد، وينظمون شئون الكنيسة بقوانين تسنها الدولة، وينشرون آراءهم وتوجيهاتهم الدينية على رجال الدين. ولكن ثمة ما يحد من سلطان الأباطرة الديني المطلق في العالم المسرحي الشرقي وهو سلطان الرهبان، ولسان البطريق، واليمين التي يقسمها الملك حين يُتَوَّجُهُ البطريقُ مَلِكاً بأن لا يبتدع بدعة ما في الكنيسة. قصة الحضارة / الفصل الرابع عصر الايمان / ص ٥١٧٧.
و نحن اذ ننقل احيانا فيما يخص الصراع بين القيصر و رأس الكنيسة من كتاب (قصة الحضارة)، و لكن ينبغي ان لا يغيب عن اذهاننا ان مؤلف هذا الكتاب (ول ديورانت) هو رجل يهودي له اجندته اليهودية الخاصة، و لذا ننقل منه بحذر شديد، وما لا يخالف السياقات العامة و التحاليل لما هو موجود في رواياتنا و كتبنا الشيعية، اذ لا يغفل حصيف و متتبع ان هذا اليهودي كان يمرر بين فينة و اخرى ما يخدم هدفه و رسالته كيهودي.

تَبَادُلُ الحُرُمُ الكَنَسِيِّ[1] وَقَدْ تَدَخَلَ بَابَا الكَنِيسَةِ الغَرْبِيَّةِ اللَّاتِينِيَّةِ فِي الصِّرَاعِ صَابًّا الزَيْتَ عَلى النَّارِ، فَالطَرَفَانِ يُعْتَبَرَانِ مِنْ خُصَمَائِهِ[2] وَمِنْ مَصْلَحَتِهِ إِضْعَافُهُمَا، وَلا زَالَتْ تِلكَ الخِلاَفَاتِ فِي أَوْجِهَا إلى أن قُتِلَ القَيْصَرُ فِي انْقِلاَبٍ مُدَبَّرٍ قَامَ بِه أحَدُ رِجَالاتِ القَصْرِ وَبِهِ دَخَلَتِ الإِمبرَاطُورِيَّةُ الرُومِيَّةُ مَرحَلَةً جَدِيْدَةً مَعَ سُلاَلَةٍ جَدِيدَةٍ مِنْ مُلُوكِ الرُّومِ.

(١) نوع من انواع التلاعن ومنع الرحمة و المغفرة عند المسيحيين.

(٢) لم تكن الكنيسة اللاتينية على وئام مع الكنيسة اليونانية و الاختلاف بينهما يزداد هوة، إذ أخذت الهوة بين المسيحية اللاتينية واليونانية تزداد بسبب ما كان بين المذهبين في هذه القرون من اختلاف في اللغة والطقوس والعقائد.. فقد كانت الطقوس، والأثواب الكهنوتية، والآنية، والزخارف المقدسة في الكنيسة اليونانية أشد تعقيداً، وأكثر زخرفاً، وأعظم عناية بالناحية الفنية من مثيلاتها في الغرب، فكان ذراعا الصليب اليوناني مثلاً متساويتين، وكان اليونان يصلون وهم وقوف، أما اللاتين فكانوا يصلون راكعين، وكان اليونان يعمدون أطفالهم بأن يغمروهم في الماء المقدس، أما اللاتين فكانوا يرشون الماء عليهم، وكان الزواج محرماً على القساوسة اللاتين ومباحاً للقساوسة اليونان؛ وكان القسيسون اللاتين يحلقون لحاهم، أما اليونان فكانوا يرسلونها إرسالاً. نقلا عن كتاب قصة الحضارة صفحة رقم: ٥١٧٨.

الفصل الثاني

أراد قيصرُ ملكُ الروم أن يُزَوِّجَ حفيدتَهُ الأَميرةَ المقدسةَ عليها السلام، فَجَمَعَ فِي قَصْرِهِ الأعَاظِمَ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ومَنْ جَاوَرَهَا، وفِي السَّاعَةِ المَوعُودَةِ جيء بالأمير ابنِ أخيهِ وهُوَ في كَامِلِ زِينَتِهِ فصَعِدَ العَرْشَ، وَتَعَالَتْ تَرَاتِيلُ الرُّهبَانِ، فاهتَزَّتْ الأرضُ مِنْ تَحْتِ كُرْسِيِّهِ وسَقَطَتِ الصُّلبَانُ مِنَ الْأَعَالي إلى الأسْفَلِ، وَتَقَوَّضَتْ أَعْمِدَةُ الْعَرْشِ فَانْهَارَتْ وَخَرَّ الأميرُ مَصْرُوعَاً، فَتَغَيَّرَتْ أَلْوَانُ الْأَسَاقِفَةِ وَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُم، وَطلبُوا أنْ يُعْفِيَهُم المَلكُ عَنْ هَذَا الأمرِ، وَلكنَّ القَيْصَرَ أبى واستبدلَ الأمِيرَ بِأَخِيه الآخَرِ، ولكِنَّ المُفَاجَأةَ أَنَّهُ جَرَى عليه مَا جَرَى لأخيه الأوّلِ، وانفضَّ النَّاسُ، وفي تلكَ الليلةِ رأتْ الأَمِيْرَةُ المُقَدَّسَة رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يَخْطِبُهَا لابنِه الإمامِ الحسنِ العَسْكريِّ عليه السلام، وكَانَتْ فِيْمَا بَعْدُ تَرَى حبيبَهَا فِي طَيْفِهَا فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إلى أنْ أَخْبَرَهَا أَنْ تُوقعَ نَفْسَهَا فِي أَسْرِ المُسْلِمينَ كَي يَسْتنقذها من مَصيرِ الانقلاب على جدها وتصلَ إلَيْهِ.

قَارِبُ السَّبْيِ

هُنَـاكَ فِي أعَـالِي الفُـرَات حَيـثُ أُرْكِبَـت الأَمِـيْرَةُ الـمُقَدَّسَةُ قَـارِبَ السَّبْيِ وسُـيِّرَتْ الـمَرَاكِبُ فِي النَّهـرِ، كأنِّي بِهَـا اضْطَرَبَـتْ قَلِيـلاً، فَهِـيَ بَـينَ يَـدَي أعْـدَاءٍ أغْـرَابٍ، لا يَرْحَمُـون، ولَرُبَـما وُضِعَـتْ مَـعَ وَصِيفَاتِهـا دَاخِـلَ أقْفَـاصٍ، فَـكَأنِّي بِهَـا أمسَـكَتْ بِكِلتَـي يَدَيْهَـا الـمُرتَعِشَتينِ بَعْـضَ أعْوَادِهَـا الـخَشَبِيَّةِ، تَنْظُـرُ مِـنْ خِلَالِهَـا تَتَأمَـلُ طَرِيقَهَـا، لَعَلَّهَا تَجِـدُ مَـا يُسَـكِّنُ رَوعَهـا، فَقَـد كَانَ نَهَـاراً مُفْعَـماً بِالمُغَامَـرَاتِ وَالمَخَاطِـرِ، بالأمـسِ كَانَـتِ ابْنَـةَ مَلِـكٍ، وَهَـا هِـيَ اليَـومَ أسِـيْرةٌ، تَتَجَـرَّعُ مَـرَارَةَ الـذُّلِ وَتَقَلُّـبَ الأَحْـوَالِ، فَقَـدَرُ العُظَـمَاءِ تَـوْأمٌ يُكَـرِرُ نَفْسَـهُ عَـلَى مَـدَى الأَزْمَـانِ، يَتَبَـدَّلُ الأَشْـخَاصُ لَكِنَّـهُ هُـو هُـو، فَعَجَبَـاً لَقَـدْ أَشْـبَهَتْ قِصَّتُهـا قِصَّـةَ النَـبِّيِّ الَـذِي أصْبَـحَ عَزِيـزَاً لـمِصرَ، فَـكَانَ لا بُـدَّ لَهَـا مِـنَ النَّهـرِ كَـمَا كَانَ لا بُـدَّ لِيُوسُـفَ مِـنَ البِئـرِ، وَلا بُـدَّ لَهَـا أنْ تُبَـاعَ فِي سُـوقِ النَخَّاسِـينَ كَـمَا بِيـعَ يُوسُـف فِي مَـزَادِ العَبِيـدِ.. هُنَـاكَ انْـبَرَى يُوَاسِـيهَا جَمَـالُ النَّـهرِ، كأنَـه فَـرِحٌ بِحَمْلِـهِ

مَركَبَ هذا المَلاكِ، فأخَذَ يَتَماوجُ بِحَنانٍ يُداعِبُ قارِبَها، وَعَيْناهَا الذابِلَتان غادَرَهُما التَعَبُ وَهِيَ تَنْظرُ إلَى سِحْرِ الفُراتِ، فَماؤُهُ يَجْري مُلتَوِياً يَشُقُّ طَرِيقَهُ كَبطُونِ الحَيَّاتِ بَينَ الهِضَابِ، تَسْمعُ صَدَى تَدَفُّقِهِ، وقَد انْدَمَجَ مَعَ حَفِيفِ الشَّجَرِ، وَسْطَ زَقْزَقَةِ العَصَافِيرِ، وشَدْوِ البَلابِل، وَالنُخَيلاتُ عَلَى ضِفَافِهِ تَتَراقَصُ سَعَفَاتُها، جَميعُها تُرَحِّبُ بأمِيرَتِها القِدِّيسَةِ.. كانَ مَشْهَداً خَلَّاباً، يُضَمِّدُ شَيْئاً مِنَ جِرَاحِهَا، ويُنسِيهَا مَا هِيَ فِيه، وَقَدْ قَرُبَتْ مِنْ مَدِينَة بَغْدَاد..

طارقُ اللَّيْلِ

..تَنَهَّدَ الشَيْخُ وَقَدِ انْحَنَى صُلْبُهُ وَتَقَوَّسَ مَنْكِبَاهُ وَثَفِنَتْ جَبْهَتُهُ وَرَاحَتَاهُ فَسَبقَتْ دُموعُهُ تَحْشُرُجَ صَوْتِهِ الممتزِجِ بِبُحَّةِ بكاءٍ، وَفِي وَقَارِ الشَّيْخِ الطَّاعِنِ فِي العُمْرِ حَدَّثَ بِشْرُ بنُ سُلَيمَانَ الأنصاريُّ القِصَّةَ وَقَالَ:

كَانَ مَوْلَانَا أَبو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيُّ عليه السلام [1] فَقَّهَنِي فِي أَمْرِ الرَّقِيقِ، فَكُنْتُ لاَ

(١) العسكري لقب مشترك للإمام علي الهادي عليه السلام وولده الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

أَبْتَاعُ وَلَا أَبِيعُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَاجْتَنَبْتُ بِذَلِكَ مَوَارِدَ الشُّبُهَاتِ حَتَّى كَمُلَتْ مَعْرِفَتِي فِيهِ، فَأَحْسَنْتُ الْفَرْقَ فِيمَا بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ..

فَبَيْنَمَا أَنَا ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي مَنْزِلِي بِسُرَّ مَنْ رَأَى وَقَدْ مَضَى هَوَى مِنَ اللَّيْلِ[1] إِذْ قَرَعَ الْبَابَ قَارِعٌ فَعَدَوْتُ مُسْرِعاً، فَإِذَا أَنَا بِكَافُورَ الْخَادِمِ رَسُولِ مَوْلَانَا أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الهادي عليه السلام، يَدْعُونِي إِلَيْهِ..

فَلَبِسْتُ ثِيَابِي وَجئت دارَه وَاستأذنْتُ وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَرَأَيْتُهُ يُحَدِّثُ ابْنَهُ أَبَا مُحَمَّدٍ الحسنَ العسكريَّ عليه السلام، وَأُخْتُهُ السيِّدةُ حَكِيمَةُ عليها السلام مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ تسمعُ حديثَهُ[2].

فأشار إليَّ فجلستُ بين يديهِ، فقالَ لِي عليه السلام: يَا بِشْرُ، إِنَّكَ مِنْ وُلْدِ الْأَنْصَارِ، وَهَذِهِ الْوَلَايَةُ لَمْ تَزَلْ فِيكُمْ يَرِثُهَا خَلَفٌ عَنْ سَلَفٍ، فَأَنْتُمْ ثِقَاتُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، وَإِنِّي مُزَكِّيكَ وَمُشَرِّفُكَ

(١) يعني زمانا غير قليل.

(٢) كمال الدين و تمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢، ص٤١٧

بِفَضِيلَةٍ تَسْبِقُ بِهَا شَأْوَ الشِّيعَةِ[1] فِي الْمُوَالاةِ بِهَا بِسِرٍّ أَطلِعُكَ عَلَيْهِ..

ثُمَّ أَطْلَعَهُ الإِمَامُ الْهَادِي عليه السلام عَلَى سِرِّهِ، وهُوَ إِرْسَالُهُ إلى بَغْدَادَ فِي مَهَمَّةٍ خَاصَّةٍ، يَسْتَنْقِذُ فِيهَا الأَمِيرَةَ الْمُقَدَّسَةَ، لكنَّ الإمامَ عليه السلام، لَمْ يُطْلِعْهُ عَلَى حَقِيقَةِ شَخْصِيَّتِهَا، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ:

إِنِّي أُنْفِذُكَ فِي ابْتِيَاعِ أَمَةٍ..

لَمْ يَشَأْ الإِمَامُ الْهَادِي عليه السلام أَنْ يَذْهَبَ بِنَفْسِهِ ولا أَنْ يُرْسِلَ أَحَدَ الْمَشْهُورِينَ عِنْدَ النَّاسِ أَنَّهُ مَحْسُوبٌ عَلَيهِ أَوْ الْمَعْرُوفِيْنَ بِتَشَيُّعِهِم، كَيْلَا يُفتَضَحَ السِّرُّ وَيُعْرَفَ شَأْنُ الأَمِيرةِ الْمُقَدَّسَةِ، فَيَدْخُلُ جلاوزةُ الظَّالِمِينَ فِي مَنْعِ وَصُولِهَا لِبَيْتِ الإمامِ عليه السلام، ولِذَا بَعَثَ رَجُلًا هُو مُتَفَقِّهٌ وَمَشْهُورٌ فِي شِرَاءِ وَبَيعِ الإِمَاءِ مِنْ شِيعَتِهِ الْمُتَخَفِّيْنَ، فَتَكُونُ مِهْنَتُهُ غطاءً لَهُ فِيمَا انْتَدَبَهُ لَهُ الإمامُ عليه السلام، وَهُوَ الَّذِي كَانَ فَقَّهَهُ الإمامُ عليه السلام وأَعَدَّهُ لِهَذِهِ الْمُهِمَّةِ مُنْذُ زَمَنٍ بِعِيدٍ مِنْ دُونِ أن يَعْلَمَ مَا ادَّخَرَهُ لَهُ الإمام حَقِيقَةً.

(١) في بعض النسخ «سائر الشيعة»، و الشأو مصدر. الأمد والغاية يقال فلان بعيد الشأو أي عالى الهمة.

رسالةٌ بالروميَّةِ

يقول بشرُ الأنْصَارِيُّ: فَكَتَبَ كِتَاباً لَطِيفاً بِخَطٍ رُومِيٍ وَلُغَةٍ رُومِيَّةٍ وَطَبَعَ عَلَيْهِ خَاتَمَهُ، وَأَخْرَجَ شِقَّةً[1] صَفْرَاءَ فِيهَا مِائَتَانِ وَعِشْرُونَ دِينَاراً[2] فَقَالَ عليه السلام:

خُذْهَا وَتَوَجَّهْ بِهَا إلى بَغْدَادَ، وَاحْضُرْ مَعْبَرَ الْفُرَاتِ ضَحْوَةً[3] يَوْمِ كَذَا، فَإِذَا وَصَلَتْ إلى جَانِبِكَ زَوَارِيقُ السَّبَايَا[4]، وَبَرَزَتِ الجوَارِي مِنْهَا، فَسَتُحْدِقُ بِهِنَّ طَوَائِفُ الْمُبْتَاعِينَ مِنْ وُكَلَاءِ قُوَّادِ بَنِي الْعَبَّاسِ[5]، وَشِرذِمَةٌ مِنْ فَتيَانِ الْعَرَبِ[6]، فَإِذَا رَأَيْتَ ذَلِكَ فَأَشْرِفْ مِنَ الْبُعْدِ عَلَى الْمُسَمَّى عَمْرَو بْنَ يَزِيدَ

---

(١) الشقة بالكسر و الضم- السبيبة المقطوعة من الثياب المستطيلة و قد يكون تصحيف «حقة» و هي وعاء تسوى من خشب أو من العاج أو غير ذلك.

(٢) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، ج٥١، ص٦.

(٣) معبر الفرات: مكان يعبر منه نهر الفرات و هو محل تتجمع فيه السفن و القوارب. و الضحوة: ارتفاع أول النهار.

(٤) الغيبة للشيخ الطوسي، كتاب الغيبة للحجة ص ٢٠٩. و الزواريق: جمع زورق أي القارب.

(٥) دلائل الإمامة، ابن جرير الطبري، ص٤٩١.

(٦) الغيبة للشيخ الطوسي، كتاب الغيبة للحجة ص ٢٠٩.

النَّخَّاسَ عَامَّةَ نَهَارِكَ، إلى أَنْ تَبْرُزَ لِلْمُبْتَاعِينَ جَارِيَةٌ صِفَتُهَا كَذَا، لَابِسَةً حَرِيرَيْنِ صفيقين- أي مَتِينَيْنِ وكَثِيفَيْنِ قَوِيَي النَّسْجِ-، تَمْتَنِعُ مِنَ الْعَرْضِ[1] وَلَمْسِ الْمُعْتَرِضِ وَالِانْقِيَادِ لِمَنْ يُحَاوِلُ لَمْسَهَا، فَيَضْرِبُهَا النَّخَّاسُ فَتَصْرُخُ صَرْخَةً رُومِيَّةً من ورآءِ سِتْرٍ رَقِيقٍ فَاعْلَمْ أَنَّهَا تَقُولُ:

وَا هَتْكَ سِتْرَاهُ.. وَا هَتْكَ سِتْرَاهُ..[2]

ما الحيلةُ؟

هُنَا لَمْ يَعُدْ يُطِيقُ الْحَدِيثَ، انكسرتْ نَبْرَةُ الإمامِ الْهَادِي عليه السلام وأَخَذَتْ تَتَقَطَّعُ كلماتُهُ مِنَ الْأَلَمِ الْمَكْبُوتِ فِي صَدْرِهِ، بَانَتْ رسمة الْغَبَنِ فِي شَفَتَيهِ، تَوَقَّفَ قَلِيلاً وَقَدْ احمَرَّتْ عَيْنَاهُ عليه السلام، وَتَجَمَّعَ ماؤهَا، فَغَصَّتْ كلماتُه، وَغَالَبَتْهَا الدُّموعُ، فتحادرت تُسَابِقُ أَحْرُفَهُ، كَأَنَّهُ يُدَحْرِجُ أَلْفَاظَهُ بِصُعُوبَةٍ بَالِغَةٍ، يُتَأْتِئُ مِنْ غيرِ عَيٍّ، لَحْظَة.. تَأَوَّهَ

(١) أي الاستعراض، و كان من عادتهم اذا ارادوا بيع الإماء يستعرضوهن أمام الناس وهنَّ سافرات مكشفات.

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي، كتاب الغيبة للحجة ص ٢٠٩.

حَسْرَةً، ثُمَّ قَالَ عليه السلام:

فَيَقُولُ بَعْضُ الْمُبْتَاعِينَ: عَلَيَّ بِثَلَاثِمِائَةِ دِينَارٍ فَقَدْ زَادَنِي الْعَفَافُ فِيهَا رَغْبَةً، فَتَقُولُ لَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ: لَوْ بَرَزْتَ فِي زِيِّ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَى مِثْلِ سَرِيرِ مِلْكِهِ، مَا بَدَتْ لِي فِيكَ رَغْبَةٌ، فَأَشْفِقْ عَلَى مَالِكَ[1].

أخذَ الإمامُ الْهَادِي عليه السلام يُكَفْكِفُ دمْوعَه بِكُمِّهِ، ثمَ استَطّردَ في كلامِه يُخاطبُ بِشرَ الأنصاريّ، فقال له:

حينها ستسمعُ النَّخَّاسَ يقولُ للجارية: يا جارية، فَمَا الْحِيلَةُ وَلَا بُدَّ مِنْ بَيْعِكِ؟

فَتَقُولُ: وَمَا الْعَجَلَةُ وَلَا بُدَّ مِنِ اخْتِيَارِ مُبْتَاعٍ يَسْكُنُ قَلْبِي إلى أَمَانَتِهِ وَوَفَائِهِ وديانتِهِ[2].

فَعِنْدَ ذَلِكَ قُمْ إلى عَمْرِو بْنِ يَزِيدَ النَّخَّاسِ وَقُلْ لَه: إِنَّ مَعِي كِتَاباً لَطِيفاً لِبَعْضِ الْأَشْرَافِ، كَتَبَهُ بِلُغَةٍ رُومِيَّةٍ وَلَفْظٍ رُومِيٍّ، وَوَصَفَ فِيهِ نُبْلَهُ وَكَرَمَهُ وَوَفَاءَهُ وَسَخَاءَهُ، فَنَاوِلْهَا لِتَتَأَمَّلَ

(١) دلائل الإمامة، ابن جرير الطبري، ص٤٩١.

(٢) روضة الواعظين و بصيرة المتعظين، الفتال النيسابوري، ج١، ص٢٥٢.

مِنْهُ أَخْلَاقَ صَاحِبِهِ، فَإِنْ مَالَتْ إِلَيْهِ وَرَضِيَتْهُ فَأَنَا وَكِيلُهُ فِي ابْتِيَاعِهَا مِنْكَ[1].

عِنْدَ شَاطِئِ النَّهْرِ

ودّعَ بِشرٌ الإمامَ الهَادِي عليه السلام، وقفل راجعاً إلى دارِهِ، لم يغزُ النومُ عينيه تلك الليلة، كان بِشْرٌ في سِبَاقٍ مَعَ قَارِبِ الأَمِيرَةِ أَيُّهُمَا يَسْبِقُ، وكان قلقاً مخافةَ أن يكونَ مقصراً، أو يفشلَ في مهمتِه، فَشَّدَ رَوَاحِلَهُ، وَتَزَوَّدَ سَرِيعَاً بِزَادِهِ، وَانْطَلَقَ مُسْرِعَاً مع خيوط الفجر الأولى نَحوَ بَغْدَادَ، فَلَمَّا وصَلَها أَخفَى شَخْصِيَّتَهُ عَنْ عُيُونِ جلاوزةِ بَنِي الْعَبَّاسِ، وَذَهَبَ نَاحِيَةَ شَاطِئِ النَّهْرِ حَيْثُ تَرْسُو قَوَارِبُ مَمْلُوءَةٌ بنساءٍ مِنَ الرُّومِ سبَايَا، وحَدَثَ مَا أَخْبَرَهُ بِه الإمامُ الْهَادِي عليه السلام بِكُلِّ تَفَاصِيلِهِ مَا انْخَرَمَ مِنْ كلامِهِ شيءٌ، قَالَ بِشْرُ بْنُ سُلَيْمَانَ الأنصاري:

فَامْتَثَلْتُ جَمِيعَ مَا حَدَّهُ لِي مَوْلَانَا أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام فِي أَمْرِ الجارِيَةِ، وَدفعتُ لها الكتابَ، فَلَمَّا نَظَرَتْ إلى الْكِتَابِ بَكَتْ بُكَاءَ

(١) كمال الدين و تمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢، ص٤١٩.

شَـدِيداً، وَقَالَـتْ لِعَمْـرِو بْـنِ يَزِيـدَ النَّخَّـاسِ: بِعْنِي مِن صَاحِبِ هَذَا الْكِتَابِ.

أتَلْثِمينَ كتاباً؟!

وَحَلَفَـتْ بِالْمُحَرِّجَـةِ الْـمُغَلَّظَةِ، إِنَّـهُ مَتَـى امْتَنَـعَ مِـنْ بَيْعِهَـا مِنْـهُ قَتَلَـتْ نَفْسَـهَا. فَـمَا زِلْـتُ أُشَـاحُّهُ فِي ثَمَنِهَـا، حَتَّـى اسْـتَقَرَّ الثَّمَـنُ عَـلَى مِقْـدَارِ مَـا كَانَ أَصْحَبَنِـي مَـوْلَايَ أَبُـو الْـحَسَنِ عليه السلام مِـنَ الدَّنَانِـيرِ فِي الشِّـقَّةِ الصَّفْـرَاءِ، فَاسْـتَوْفَاهُ مِنِّـي، وَتَسَـلَّمْتُ مِنْـهُ الْـجارِيَةَ ضَاحِكَـةً مُسْـتَبْشِرَةً، وَانْصَرَفْـتُ بِهَـا، فَـمَا أَخَذَهَـا الْقَـرَارُ حَتَّـى أَخْرَجَـتْ كِتَـابَ مَوْلَانَـا أَبِي الْـحَسَنِ مِـنْ كُمِّهَـا وَهِـيَ تَلْثِمُـهُ، وَتَضَعُـهُ عَـلَى خَدِّهَـا، وَتُطْبِقُـهُ عَـلَى جَفْنِهَـا، وَتَمْسَـحُهُ عَـلَى بَدَنِهَـا، فَقُلْـتُ مُتَعَجِّبـاً مِنْهَـا:

أَتَلْثِمِينَ كِتَاباً لَا تَعْرِفِينَ صَاحِبَهُ؟![1]

(١) دلائل الإمامة، ابن جرير الطبري، ص: ٤٩٢.

أَعِرْنِي سَمْعَكَ...!

اطمأَنَّتْ الْأَمِيرَةُ الْمُقَدَّسَةُ أنَّ الشَّيْخَ الكَبِيْرَ مَحَلُّ ثِقَةِ الإمامِ عليه السلام، وإلا لَمَا أَرْسَلَهُ لاستنقاذِهَا، فَأَرَادَتْ أن تَتَعَطَّفَ وَتَتَكَرَّمَ عَلَيْهِ فتَكْشِفَ لَهُ جُزْءًا مِنْ سِرِّهَا وَمَنْ تَكُونُ فَقَالَتْ لَهُ:

إِنَّك لَضَعِيفُ الْمَعْرِفَةِ بِمَحَلِّ أَوْلَادِ الْأَنْبِيَاءِ، أَعِرْنِي سَمْعَكَ،وَفَرِّغْ قَلْبَكَ، أَنَا مَلِيكَةُ بِنْتُ يَشُوعَا ابْنِ قَيْصَرَ[1] مَلِكِ الرُّومِ، وَأُمِّي مِنْ وُلْدِ الْحَوَارِيِّينَ، وَنَسَبِي مُتَّصِلٌ إلى وَصِيِّ الْمَسِيحِ شَمْعُونَ. أُنْبِئُكَ بِالْعَجَبِ أَنَّ جَدِّي قَيْصَرَ أَرَادَ أَنْ يُزَوِّجَنِي مِنْ ابْنِ أَخِيهِ، وَأَنَا مِنْ بَنَاتِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً[2]...

فَأَخَذَتْ تُذِيعُ لَهُ مَا كَتَمَتْهُ مِنْ سِرِّهَا، فَسَرَدتْ عَلَيهِ تَمَامَ قِصَّتِهَا، منْذُ أَنْ نَوَى جَدُّهَا أن يُزَوِّجَهَا مِنَ

---

(١) كان القيصر جدها هو الحاكم التنفيذي والملك الحقيقي، اما الإمبراطور وهو ملك الملوك فقد كان شاباً طائشاً و كان مكانه تشريفيا آنذاك في أواخر حكم هذه السلالة الرومية، فهو يملك ولايحكم كما هو شأن مقام الملك في بريطانيا وأسبانيا اليوم.

(٢) دلائل الإمامة، ابن جرير الطبري، ص٤٩٢ -بتصرف-.

ابْنِ أَخِيهِ، وما حدثَ مِنْ انهيارِ الْعَرْشِ، ومَا رَأَتْهُ مِنْ رُؤْيَا السَّيِّدِ الْمَسِيحِ وحَوَارِيِّهِ، وخِطْبَةِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله وسلم إِيَّاهَا لِوَلَدِهِ الإمام الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ عليه السلام، وقِصَّةِ اِسْتِبْصَارِهَا وَهِدَايَتِهَا عَلَى يَدِ السَّيِّدَةِ الزهراءِ وَمَرْيَمَ العذراءِ عليهما السلام، وزِيَارَةِ الامام أبي مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيِّ عليه السلام لَهَا طِيلَةَ سنوَاتٍ فِي مَنَامِهَا، وَمَا أَمرَهَا بِهِ حَتَّى وَقَعَتْ أَسيرَةً بِيدِ طَلَائِعِ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ إلى وُصُولِهَا لِسُوقِ النّخَّاسِيْنِ.. ثُمَّ خَتَمَتْ بِالْقَوْلِ:

حَتَّى كَانَ مِنْ أَمْرِي مَا رَأَيْتَ وَشَاهَدْتَ، وَمَا شَعَرَ بِأَنِّي ابْنَةُ مَلِكِ الرُّومِ إلى هَذِهِ الْغَايَةِ أَحَدٌ سِوَاكَ،وَذَلِكَ بِإِطْلَاعِي إِيَّاكَ عَلَيْهِ، وَلَقَد سَأَلَنِي الشَّيخُ الَّذِي وَقَعْتُ إِلَيْهِ فِي قِسمِ الْغَنِيمَةِ عَنْ اسْمِي، فَأَنْكَرْتُه وَقُلْتُ: نَرْجِسُ. فَقَالَ: اسْمُ الجوَارِي[1].

وَكَانَ تَمْوِيهُهَا عَنِ اِسْمِهَا الْحَقِيقِيِّ «مَلِيكَة» سَبَباً لِعَدَمِ مَعْرِفَةِ حَقِيقَتِهَا، وَسَيُرَافِقُهَا هَذَا التَّمْوِيهُ لِآخِرِ حَيَاتِهَا، وَهوَ وَإِن كَانَ غلبَ عَلَيهَا اسمُ نَرْجِسَ، إلا أَنّهَا

(١) دلائل الإمامة، ابن جرير الطبري، ص٤٩٥.

تَسَمَّتْ لَاحِقاً بِعِدَّةِ أسماءٍ كَرَيْحَانَةَ، وَصَقِيلَ، وَسوسَنَ.. وَهَكَذَا تَعَدَّدَتْ لَهَا الأسماءُ لِيُضْرَبَ عَلَيْهَا طَوقٌ مِن السِّتْرِ حِمَايَةً لَهَا، وَلِإِخْفَاءِ أَمْرِهَا وشَخْصِهَا عَنْ سَلاطين بَنِي الْعَبَّاسِ، حَيْثُ كَانُوا يَبْحَثُونَ عَنهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ..

سِرّ مَعرِفتِها بالعَرَبيّة

وَقَدْ اسْتَغْرَبَ بِشْرُ بنُ سُلَيْمَانَ الأَنصاريُّ طَلَاقَتَهَا فِي الْكَلَامِ بِالْعَرَبِيَّةِ رَغْمَ أَنَّهَا رُومِيَّةٌ فَسَأَلَهَا:

الْعَجَبُ أَنَّكِ رُومِيَّةٌ وَلِسَانُكِ عَرَبِيٌّ![1]

فردَّتْ الأميرةُ المقدَّسةُ قائلةً:

بَلَغَ مِنْ وَلُوعِ جَدِّي وَحُبِّهِ إِيَّايَ عَلَى تَعَلُّمِ الْآدَابِ، أَنْ أَوعَزَ إلى امْرَأَةٍ تُرْجمانٍ لَهُ، فِي الِاخْتِلَافِ إِلَيَّ، فَكَانَتْ تَقْصِدُنِي صَبَاحاً وَمَسَاءً وَتُفِيدُنِي الْعَرَبِيَّةَ، حَتَّى اسْتَمَرَّ عَلَيْهَا لِسَانِي، وَاسْتَقَامَ[2].

الطَّرِيقُ إلى سامراءَ

بَعْدَ أَنْ أَعلَمتْهُ مَنْ هِي، وكَشَفَتْ لَهُ عَنْ حَقِيقَتِهَا

(١) دلائل الإمامة، ابن جرير الطبري، ص٤٩٥.

(٢) دلائل الإمامة، ابن جرير الطبري، ص٤٩٥.

ومَـن تكـون، عَـرَفَ بـشْرُ النَّخَّـاسُ أَنَّـهُ يَحْمِـلُ أَمَانَـةً ثَقيلَـةً جِـدَّاً، وأنَّ الإمـام الْهَـادِيَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَـدِ اسْـتَوْدَعَهُ أَخْطَـرَ الأسرارِ، فَـازْدَادَ قَلَقُـهُ مستشـعِراً خُطُـورَةَ الْـمُهِمَّةِ الْـمَنُوطَةِ بِـهِ.

كَانَ الطَّرِيـقُ مِـنْ بَغْـدَادَ إلى سـامراءَ[1] عَاصِمَةِ الدَّوْلَـةِ الْعَبّاسِـيَّةِ آنـذاكَ مليئـاً بِالْعَسَـاكِرِ وَجـلاوزةِ بَنِـي الْعَبَّـاسِ، لَمْ يَكُـنْ الْانْتِقَالُ بِالْـمَهَمَّةِ الشَّـاقَّةِ، وَلَكِنَّـهُ كَانَ مَحْفُوفًـا بِالْمَخَاطِرِ خَشْـيَةَ انكشـافِ شَـخْصِيَّةٍ مَلَكِيَّـةٍ ذَاتِ مكانـةٍ عظيمـةٍ جِـدَّاً بِـوَزْنِ حَفِيـدَةِ مَلِـكِ الـرُّومِ، لِأَنَّـهُ سَـيُعْتَبرُ جآئـزةً كُـبْرَى لِخَلِيفَـةِ بَنِـي الْعَبَّـاسِ وانْتِصَـاراً مُؤْلِـماً عَـلَى مَمْلَكَـةِ رُومَـا، كَانَ الْـخَوْفُ أَنْ يَتَسَرَّبَ خَـبَرُ وُقُـوعِ حَفِيـدَةِ الْقَيْـصَرِ فِي الْأَسْرِ،

(١) تقـع مدينـة سـامراء في العـراق في شـمال مدينة بغـداد، و تبعـد عنهـا ١٢٠ كيلومـتر، أمـا اسـمها فيُرجـع حسـب بعـض الـمصادر إلى الاسـم الأصـلي سُر مـن رأى، بنـى مدينـة سـامراء المعتصم العباسي خلال مـدة حكمـه التـي استغرقت مـا يقـارب تسـع سـنوات و ذلـك خوفـا مـن العمليـات الانقلابيـة ضـده، و لغلاظـة جنـوده الاتـراك خلقـت مشـاحنات كثـيرة مـع أهـالي بغـداد ممـا سـبب نفـورا عامـا منهـم و كثـرت عمليـات إغتيالهـم، فأقـترح البعـض عليـه لهـذه الاسـباب و غيرهـا بنقـل جنـده و عاصمتـه، فأشـار عليـه الـخبراء ان يختـار سـامراء لأنهـا تتمتـع ببعـض الـمميزات الاسـتراتيجية، وبعـد بنائهـا صـارت عاصمـة الـحكم العباسي مـن سـنة ٢٢١ هجريـة حتـى سـنة ٢٧٩ هجريـة و تنـاوب عليهـا ثمانيـة مـن خلفـاء بنـي العبـاس، و قـد وجـدت بعـض الآثـار تشـير إلى أن سـامرآء قـد اسـتوطنت في العـصر الـحجري الـحديث قبل ٥٠٠٠ سـنة من الـميلاد. الـمصدر/ مجلـة سر مـن رأى العـدد١٠

فَخَبَرٌ بِهَذَه الْخُطُورَةِ والْحَجْمِ لا يمكنُ ضَبْطُهُ أَوْ سَتْرُهُ مُدَّةً طَوِيلَةً، إِذْ سَتَبْدَأُ الْأَلْسُنُ بِتَنَاقُلِهِ حَتَّى يَصِلَ إلى بِلَاد الْعَرَبِ وعَاصِمَتِهِمْ، وَقَدْ زَادَ الْقَلَقَ الْخَشْيَةُ أَنْ تبوحَ بَعْضُ جوَاري الأميرةِ الْمُقَدَّسَةَ اللَّوَاتِي خَرَجْنَ بِرِفْقَتِهَا ووَقُعْنَ فِي الْأَسْرِ مَعَاً بِشَخْصِيَّةِ الأميرةِ الْحَقِيقِيَّةَ، وذَلِكَ تَحْتَ ضَغْطِ الْإِكْرَاهِ أَوْ الطَّمَعِ لِنَيلِ الْحُظْوَةِ عِنْدَ سَادَتِهِنَّ الْجدُدِ، مِمَّا يَعْنِي انقلابَ الأوضَاعِ رَأْساً عَلَى عَقِبٍ فِي مَمْلَكَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ بَحْثاً عَنْهَا، فَكَانَتْ هِمَّةُ بِشْرِ الأنصاري أَنْ يَقْطَعَ سَرِيعاً أَيَّ أَثَرٍ لَهَا مَعَ سُوقِ النَّخَّاسِينَ الْمَكَانِ الَّذِي اشْتَرَى مِنهُ الْأَمِيرَةَ، كَيلَا يَسْتَدِلَّ أحدٌ عَلَيْهَا وفِي أَيِّ جِهَةٍ سَارَتْ أَوْ إلى أَيِّ بَلَدَةٍ قَصَدَتْ، وَلِذَا خَرَجَ مَعَ هَذَا الثِّقلِ الْعَظِيمِ مُسْرِعاً مِنْ بَغْدَادَ نَاحِيَة سامراءَ، كَيْ يُوْصِلَ وَدِيعَتَهُ بِكُلِّ حِفظٍ وَصَوْنٍ.

بُشْرَى بِشَرَفِ الأبَد!

.. وَأَخِيراً وَصَلَتِ الأمِيْرةُ الْمُقَدَّسَةُ عليها السلام إلى مَدِينَةِ سامراءَ حَيْثُ بَيْتُ الْإِمَامَةِ، وَقَدْ كَانَ أَهْلُهَا الجددُ مَسْرُورِينَ بِهَا، أما هِي فَقَدْ كَانَتْ لَا يَقُرُّ لَهَا قَرَارٌ مِنْ

شِـدَّةِ الْفَـرَحِ وَالـسُّرُورِ، وفِي غَايَـةِ الْبَهجَـةِ وَالسَّـعَادَةِ، لقـد آنَ للقدِّيسَـةِ أن تُلقـيَ عـن كاهلِهـا أثقـالَ الغربـةِ، فقـد وصلـتْ إلى عُشِّـها حيـثُ تَحِـنُّ الـروحُ.

ثَـمَّ إنَّ الإمـامَ الْهَادِيَ عليه السلام - والـدَ زوجِها الـمُرْتَقَبِ- أَحَاطَهَـا بِحَنَانِـهِ الأَبَـوِيِّ، وسَـأَلَهَا عَـنِ الْعجَائـبِ الَّتِـي رَأَتْهَـا وعَـنْ رِحْلَتِهَـا وأَحْوَالِهَـا، قَالَـتْ وَهِـي تَتَكَلَّـمُ بِاحْـتِرَامٍ بَالِـغٍ مَـعَ سَـيِّدِهَا ووَالِـدِ حبيبهـا:

كَيْـفَ أَصِـفُ لَـكَ- يَـا ابْـنَ رَسُـولِ اللهِ- مَـا أَنْتَ أَعْلَـمُ بِـهِ مِنِّي!

فَقَالَ لها الإمَامُ الـهَادِي عليه السلام:

فَـإِنِّي أُحِـبُّ أَنْ أُكْرِمَـكِ، فَأَيُّـمَا أَحَـبُّ إِلَيْـكِ: عَـشْرَةُ آلَافِ دِرْهَـمٍ، أَمْ بُـشْرَى لَـكِ بِـشَرَفِ الْأَبَـدِ؟

تَلَهَّفَتْ الأميرةُ بما يريد إكرَامَهَا به، فقَالَتْ:

بَلِ الْبُشْرَى.

فقالَ لها الإمامُ عليه السلام:

أَبْـشِرِي بِوَلَـدٍ يَمْلِـكُ الدُّنْيَـا شَرْقـاً وَغَرْبـاً،

يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلًا، كَما مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً[1].

لَقَدْ بَشَّرَهَا الإمامُ الهَادِي عليه السلام بِمَوْلُودٍ يُولَدُ لَهَا، يَمْلِكُ الأرضَ، ويُخْرِجُ كُنُوزَهَا، وَيَرْفَعُ الظُّلْمَ وَالْآثَامَ، ويَدِيْنُ لَهُ الْعَالَمُ، وهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ لَهُ الْمَسِيحُ عِيسَى عليه السلام، ويَجْتَمِعُ بِهِ، ويُؤَيِّدُهُ بِتَقْدِيمِهِ لِلصَّلَاةِ، وَيَنْصُرُهُ عَلَى جَبَابِرَةِ الأرضِ، وفِي زَمَانِ مُلْكِهِ لَا يَبْقَى مَرِيضٌ، وَلَا ذُو عَاهَةٍ، وَلَا فَقِيرٌ، حَتَّى أَنَّهُ يَحْثُو الْمَالَ حَثْوَاً، فَيُصْبِحُ كُلُّ النَّاسِ أغنياءَ أثرياءَ، فَلَا تَجِدُ مُحْتَاجًا ولَا صَاحِبَ زَكَاةٍ، حَتَّى أَنَّ السُّرُورَ يَدْخُلُ عَلَى طُيُورِ السمآءِ وَحِيتَانِ الْبِحَارِ، وتصْطَلِحُ السِّبَاعُ مَعَ البهائمِ، وَيَرْعَى الذِّئْبُ فِي أَيَامِهِ مَعَ الْغَنَمِ، وينْطَفِئُ الظُّلْمُ فِي الْمَعْمُورَةِ، وَيسودُ السلامُ، فَيَرْضَى عَنهُ سَاكِنُ الأرضِ وَسَاكِنُ السَّمَاءِ.

غَايَتُهَا مِن السُؤال

أَرَادَتْ الأَمِيْرَةُ أَنْ تَزْدَادَ يَقِيناً وَاطْمِئْنَاناً، كَمَا كَانَ

(١) دلائل الإمامة، ابن جرير الطبري، ص٤٩٥.

مِـنْ شَـأْنِ نَبِـيِّ اللهِ إبراهيـم عليه السلام حينـما طَلَـبَ مِـنْ رَبِّـهِ أَنْ يُرِيَـهُ كيـفَ يُحْيِـيَ الْـموتَى ﴿قالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِـنْ قـالَ بَـلى وَلكِـنْ لِيَطْمَئِـنَّ قَلْبِـي﴾[1]، فَـأَرَادَتْ الأمـيرةُ الْـمُقَدَّسَةُ أَنْ يَطْمَئِـنَّ قلبُهَـا، وهِـي الْعَارِفَـةُ بِالْجَـوَابِ سَـلَفاً، لِأَنَّ جَوَابَهَـا كَانَ يُرَافِقَهَـا طِيلَـةُ سِـنِيْنَ، وهُـوَ الـذي لَمْ يُفَارِقْهَـا طَيْفُـهُ لَيْلَـةً وَاحِـدَةً، فَسَـأَلَتْ الإمـامَ الْهَـادِيَ عليه السلام عَـنْ وَالِـدِ وَلَدِهَـا هَـذَا مَـنْ يَكُـون؟ مَـنْ ذَا الَّـذِي سَـيُنْجِبُ مِنهَـا مُخَلِّـصَ آخِـرِ الزَّمَـانِ؟!!.

عَلِـمَ الإمـامُ الْهَـادِي عليه السلام مرَادَهَـا وغَايَتَهَـا مِـنَ السُّـؤَالِ، فَأَخَـذَ عليه السلام يُخْبِرُهَـا بِقِصَّـةِ رُؤْيَاهَـا، وَحَـدَّدَ لَهَـا فِي أَيِّ لَيْلَـةٍ وشَـهْرٍ وَفِي أَيِّ سَـنَةٍ رُومِيَّـةٍ كَانَـتْ، وَكَأَنَّـهُ كَانَ مَعهَـا فِي تِلْـكَ الرُّؤْيَـا، وَبَعْـدَ كُلِّ تِلْـكَ التَّفَاصِيـلِ، أخـذا يَتَجَاذَبَـانِ هُـوَ وَهِـي عليهما السلام أَحْـدَاثَ قِصَّتِهَـا بِتَفَاصِيلِهَـا الدَّقِيقَـةِ.. كُلٌّ مِـنهُمَـا يُكْـمِـلُ لِلآخَـرِ إلـى أَنْ أَخْبَرَهَـا بطلَـبِ الرَّسُـولِ الأكـرمِ صلى الله عليه وآله وسلم يَدَهَـا لابنـه العسـكريِّ عليه السلام، فَسَـأَلَهَا سُـؤَالًا إقْـرَارِيًّا يُـوحِـي بـمعـرِفَـتِـهِ الْإِجَـابَةَ، فَسَـأَلَهَا عن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، مِمَّـنْ طَلَـبَ يَدَهَـا؟!.

(١) سورة البقرة آية ٢٦٤.

فأجابتْ وَقالتْ:

مِنَ الْـمَسِيحِ وَوَصِيِّه عليهما السلام.

فقال عليه السلام:

فَمِمَّنْ زَوَّجَكِ الْـمَسِيحُ وَوَصِيُّهُ؟!.

هنا أَطْرَقَتْ حَيَاءً، ثم قَالَتْ:

مِنِ ابْنِكَ أَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام.

فسألَها الإمامُ عليه السلام:

فَهَلْ تَعْرِفِينَهُ؟!

فأجابتْ عليها السلام:

وَهَـلْ خَلَـوْتُ لَيْلَـةً مِـنْ زِيَارَتِـهِ إِيَّـايَ مُنْـذُ اللَّيْلَـةِ الَّتِـي أَسْـلَمْتُ فِيهَـا عَـلَى يَـدِ سَـيِّدَةِ النِّسَـاءِ أُمِّـه عليهـا السـلام[1].

كانَ حِوارُهَـا هـذا مَـعَ الإمـامِ الـهادِي عليه السلام، وَكَأَنَّـهُ كانَ شـاهِداً مَعَهـا في ذاكَ الـمَوْقِفِ وَتَفاصِيـلِ خِطْبَتِهَـا، أن جَعَـلَ الأَمِـيرَةَ تَـزْدادُ يَقِينـاً إلى يَقِينِهَـا وَيطمئـنُ قَلْبُهَـا، أَنَّهـا

(١) كمال الدين و تمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢، ص٤٢٣.

حَصَلتْ على ضَالَّتِهَا وَبَلَغَتْ مَقْصُودَهَا وَوَصَلَتْ لِمُرَادِهَا وَأَنَّهَا عَلَى أَعْتَابِ دارِ الحَبِيبِ.

هَا هِيَهْ!

هُناكَ دَعَا الإمامُ أَبُو الحَسَنِ الهادِي عليه السلام خادِمَهُ كافُورَ، وَقالَ لَهُ:

يَا كَافُورُ، ادْعُ لِي أُخْتِي حَكِيمَةَ.

فَلَمَّا دَخَلَت السيدةُ حكيمةُ عليها السلام، أخذَ يشيرُ نَحْوَ الأميرةِ المُقَدَّسَةِ ويقولُ عليه السلام لأختهِ مُبشراً:

هَا هِيَهْ.

فَاعْتَنَقَتْهَا العَمَّةُ طَوِيلًا وَسُرَّتْ بِهَا كَثِيراً، فَقَالَ لَهَا مَوْلَانَا:

يَا بِنْتَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله، أَخْرِجِيهَا إلى مَنْزِلِكِ، وَعَلِّمِيهَا الْفَرَائِضَ وَالسُّنَنَ، فَإِنَّهَا زَوْجَةُ أَبِي مُحَمَّدٍ وَأُمُّ الْقَائِمِ عَجَّلَ اللهُ فَرَجَهُ الشَّرِيفَ[1].

وقد كَانَ مِنْ أَهدَافِ الإمامِ الهَادِي عليه السلام فِي

(١) كمال الدين و تمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢، ص ٤١٧.

إِخْرَاجِهَا مِنْ مَنْزِلِهِ إلى مَنْزِلِ أختِهِ السَّيِّدَةِ حَكِيمَةَ عليها السلام إضافةً لِتَهْيِئَتِهَا لِلاقترانِ المقدَّسِ، أن يَقْطَعَ أثَرَهَا عَنِ الآخرينَ وَيَكْتُمَ أمرَهَا، وَهَكَذَا كَانَ، أنْ عَاشَت الأميرةُ الْمُقَدَّسَةُ عليها السلام بُرْهَةً من الزمنِ فِي مَنْزِلِ أُخْتِ الإمام الْهَادِي عليه السلام، ولَمْ يَعْرِفِ الآخرون حَقِيقَةَ هَوِيَّتِهَا غَيْرَ أَنَّهَا جَارِيةٌ مُكرَّمَةٌ مَنْ جَارِيَاتِ السَّيِّدَةِ حَكِيمَةَ عليها السلام.

لقاءٌ غيرُ مُرْتَقَبٍ..

وَمَرَّتْ الأيامُ تطوي، ولِضَرْبٍ مِنَ الحِكْمَةِ لَمْ يَلتقِ الحبيبانِ، فالظروف المتوترةُ والقاهرةُ تقتضي ذلك، والسَّيِّدَةُ حَكِيمَةُ عليها السلام قَائِمَةٌ عَلَى تَعْلِيمِ هَذَا الْمَلَاكِ الطَّاهِرِ الْفَرَائِضَ والأحكامَ والسُّنَنَ وآدَابَ الْعِشْرَةِ وِفْقَ تعَاليمِ أهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام، حَتَّى اسْتُكْمِلَتْ الْمُدَّةُ.

وَبَعْدَ مُضِيِّ بُرْهَةٍ مِنَ الزَّمَنِ فِي يَوْمٍ مَا، قَامَ الإمامُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ الْعَسْكَرِيُّ عليه السلام بِزِيَارَةِ عَمَّتِهِ السَّيِّدَةِ حَكِيمَةَ حَيْثُ تَعِيشُ الأميرةُ الْمُقَدَّسَةُ فِي سِتْرِهَا، هُوَ لَمْ يَشَأْ الْمُخَالَفَةَ عَلَى أَبِيهِ، فَإلى ذَلكَ الْوَقْتِ لَمْ يَأْتِهِ إِذْنٌ مِنْ

والـده فِي لقـاءِ حَبيبَتِـهِ وَمَـنْ أُعِـدَّتْ أَنْ تَكُـونَ زَوْجَـاً لَـهُ، وَلكِـنْ شَـاءَتْ الأقـدارُ شَـيْئًا آخَـرَ، إِذْ صَـدَفَ فِي زِيَارَتِـهِ لِعَمَّتِـهِ أَنِ الْتَقَيَـا وَجْـهُ أَبِي مُحَمَّـدٍ ووَجْـهُ الأمـيرةِ الْـمُتَخَفِّيَةِ بِجِلْبَـابِ الـجوَاري والإمـاءِ، وَجهـاً لِوَجْـهٍ وَلأوّلِ مَـرّةٍ وبِلَا اتِّفَـاقٍ، عَرَفَتْـهُ وعَرَفَهَـا، كَيْـفَ لَا، وطَيْفَاهُمَـا كَانَـا يَلْتَقِيـانِ فِي الأَحـلام ولِسـنِينَ، لَكِـنَّ اللِّقَـاءَ هَـذِهِ الْـمَرَّةَ كان عَيَانَـاً، وفِي عـالمِ اليَقَظَـةِ، عَرَضَـاً كانـت الصدْفـةُ، فكَسَـا وَجْهَيْهِـمَا احمـرارُ الـحيآءِ والْخَجَـلِ، كَانَـا كَمَلَاكَـيْنِ طَاهِرَيْـنِ وقلْبَاهُمَـا مُعَلَّقَـانِ يَطَوفَـانِ بِعَـرْشِ السـمآءِ، لَمْ يَكُـنْ حُبُّهُـمَا مِـنْ سِـنْخِ حُـبِّ أَهْـلِ الأرضِ، وقـد عمَّـدَ هـذا الـوِدادَ الْمُهِمَّـةُ التـي أُنِيْطَـتْ بِهِمَا وهـي مِـنْ أعظـم مَهَـامِّ الـرَّبِّ ادَّخَرَهَـا فِي عَـالَمِ الأنـوارِ.

راحةُ الأولياء

فقـد رُوِيَ عَـنِ الرَّسُـولِ الاَكْـرَمِ ﷺ أنّـه ليلـةَ عُـرِجَ بـهِ إلى السَّـمَآءِ جـآءَهُ النِّـدَاءُ مِـنَ الـربِّ تبـارك وَتَعَـالى:

يَـا مُحَمَّـدُ ارْفَـعْ رَأْسَـكَ ! يقـول الرسـولُ ﷺ:

فَرَفَعْـتُ رَأْسِـي فَـإِذَا بِأَنْـوَارِ عَـلِيٍّ وَفَاطِمَـةَ

وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وَجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَمُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ وَعَلِيِّ بْنِ مُوسَى وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وَعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ وَالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الْقَائِمِ فِي وَسَطِهِمْ كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ فَقُلْتُ: يَا رَبِّ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةُ وَهَذَا الْقَائِمُ الَّذِي يُحِلُّ حَلَالِي وَيُحَرِّمُ حَرَامِي وَبِهِ أَنْتَقِمُ مِنْ أَعْدَائِي وَهُوَ رَاحَةٌ لِأَوْلِيَائِي وَهُوَ الَّذِي يَشْفِي قُلُوبَ شِيعَتِكَ مِنَ الظَّالِمِينَ وَالْجَاحِدِينَ وَالْكَافِرِينَ[1].

إيَّاهُ تَطلبُ الأمَمُ

وقد جَاءَ صِفَةُ هذا القائم في سِفْرِ إشْعِيَاء وهو يتحدثُ عَنْ آخِرِ الزَمَانِ وَصِفَةِ الْمُخَلِّصِ الذي تَنْتَظِرُهُ الأُمَمُ وَجَمِيعُ المخلُوقَاتِ قَال:

(١) كفاية الأثر للخزار القمي، ص١٥٢ـ١٥٣.

١ وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَّى[1]، وَيَنْبُتُ غُصْنٌ مِنْ أُصُولِهِ. ٢ وَيَحُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ، رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ، رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ، رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ. ٣ وَلَذَّتُهُ تَكُونُ فِي مَخَافَةِ الرَّبِّ، فَلاَ يَقْضِي بِحَسَبِ نَظَرِ عَيْنَيْهِ، وَلاَ يَحْكُمُ بِحَسَبِ سَمْعِ أُذُنَيْهِ. ٤ بَلْ يَقْضِي بِالْعَدْلِ لِلْمَسَاكِينِ، وَيَحْكُمُ بِالإِنْصَافِ لِبَائِسِي الأَرْضِ، وَيَضْرِبُ الأَرْضَ بِقَضِيبِ فَمِهِ، وَيُمِيتُ الْمُنَافِقَ بِنَفْخَةِ شَفَتَيْهِ. ٥ وَيَكُونُ الْبِرُّ مِنْطَقَةَ مَتْنَيْهِ، وَالأَمَانَةُ مِنْطَقَةَ حَقْوَيْهِ. ٦ فَيَسْكُنُ الذِّئْبُ مَعَ الْخَرُوفِ، وَيَرْبُضُ النَّمِرُ مَعَ الْجَدْيِ، وَالْعِجْلُ وَالشِّبْلُ وَالْمُسَمَّنُ مَعًا، وَصَبِيٌّ صَغِيرٌ يَسُوقُهَا. ٧ وَالْبَقَرَةُ وَالدُّبَّةُ تَرْعَيَانِ، تَرْبُضُ أَوْلاَدُهُمَا مَعًا، وَالأَسَدُ كَالْبَقَرِ يَأْكُلُ تِبْنًا. ٨ وَيَلْعَبُ الرَّضِيعُ عَلَى سَرَبِ الصِّلِّ، وَيَمُدُّ الْفَطِيمُ يَدَهُ عَلَى جُحْرِ الأُفْعُوَانِ. ٩ لاَ يَسُوؤُونَ وَلاَ يُفْسِدُونَ فِي كُلِّ جَبَلِ قُدْسِي،

(١) ما أقرب يسي من ياسين و المعنى انه من نسله.

لأَنَّ الأَرْضَ تَمْتَلِئُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ كَمَا تُغَطِّي الْمِيَاهُ الْبَحْرَ. ١٠ وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أَصْلَ يَسَّى الْقَائِمَ رَايَةً لِلشُّعُوبِ، إِيَّاهُ تَطْلُبُ الأُمَمُ، وَيَكُونُ مَحَلُّهُ مَجْدًا[1].

لَعَلَّكَ هَوَيْتَهَا

وَكَأَنَّ اللقاءَ غيرَ المُرتَقَبِ قَدْ حَدَثَ بِمَحْضَرِ مَنْ كَانَ مَوجُوداً فِي بَيْتِ العَمَّةِ مِن الجَوَارِي وَالخَدَمِ، وَلَمْ يَكُنْ بِالإِمْكَانِ إِخْفَاءُ اضْطِرَابِ المَوْقِفِ وَقَدْ أَقْبَلَ الإِمَامُ العَسْكَرِيُّ يُحَدِّقُ وَيُطِيلُ النَّظَرَ إلى الأَمِيرَةِ المُقَدَّسَةِ[2]، وكَأَنِي بِهَا قَدِ انْزَوَتْ نَاحِيَةً مِنَ الدَّارِ حَيَاءً، وَهُنَاكَ فِي زَاوِيَةٍ حَيثُ لا يَرَاهَا أَحَدٌ، وَقَعَتْ عَلَى الأرضِ سَاجِدَةً للهِ شُكْرَاً عَلى نِعْمَةِ رُؤيَةِ حَبِيبِهَا، قَد اِزدَحَمَ فِي قَلبِهَا الفَرَحُ و السرُورُ، وَغَشَتْهَا سَكِينَةُ الاطْمِئْنَانِ.

تَدَارَكَتِ السَّيدةُ حَكِيمَةُ عليها السلام مَوْقِفَ اللِّقَاءِ المُضْطَرِبِ، مَخَافَةَ افْتِضَاحِ السِّرِّ، فَمَوَّهَتْ فِي الكَلَامِ، تَقُولُ العَمَّةُ فقُلتُ:

(١) سفر اشعيا الاصحاح ١١ الايات ١ - ١٠.

(٢) كمال الدين و تمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢، ص٤٢٦.

أَرَاكَ يَا سَيِّدِي تَنْظُرُ إلى هَذِهِ الجارِيَةِ نَظَراً شَدِيداً[1]، لَعَلَّكَ هَوَيْتَهَا، أَحْسَبُكَ تُرِيدُهَا فَأُرْسِلُهَا إِلَيْكَ[2].

فَقَالَ عليهِ السلامُ:

إنّا معاشرَ الأوصياءِ لسنا ننظرُ نَظَرَ رِيْبَةٍ[3]، يَا عَمَّةُ مَا نَظَرِي إِلَيهَا إِلَّا أَتَعَجَّبُ مِمَّا لله فِيهَا مِنْ إِرَادَتِهِ وَخِيَرَتِهِ[4]، سَيَخْرُجُ مِنْهَا وَلَدٌ كَرِيمٌ عَلَى الله عَزَّوَجَلَّ الَّذِي يَمْلَأُ اللهُ بِهِ الْأَرْضَ عَدْلاً وَقِسْطاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً.

فَقُلْتُ:

فَأُرْسِلُهَا إِلَيْكَ يَا سَيِّدِي؟

فَقَالَ عليهِ السلامُ:

اسْتَأْذِنِي فِي ذَلِكَ أَبِي عليه السلام.

---

(١) الهداية الكبرى، الشيخ الخصيبي، ص٣٥٤.

(٢) كمال الدين و تمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢، ص٤٢٦.

(٣) مدينة معاجز الأئمة الإثني عشر، السيد هاشم البحراني، ج٨، ص٣٤.

(٤) الهداية الكبرى، الشيخ الخصيبي، ص٣٥٤.

أحبَّ أَنْ يُشرِكَكِ في الأجرِ

تقول العَمَّةُ السيدة حكيمة عليها السلام:

فَلَبِسْتُ ثِيَابِي، وَأَتَيْتُ مَنْزِلَ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام، فلمّا دخلت عليه تبسّم ضاحكاً، فَسَلَّمْتُ وَجَلَسْتُ، فَبَدَأَنِي عليه السلام وَقَالَ:

يا حَكِيمَةُ، جئتِ تَسْتَأْذِنِينِي في أمرِ الصَّبِيَّةِ[1]، إبْعَثِي بِهَا يَا حَكِيمَةُ، ابْعَثِي نَرْجِسَ إلى ابْنِي أَبِي مُحَمَّدٍ.

فقالت السيدة حكيمة عليها السلام:

يَا سَيِّدِيّ، عَلَى هَذَا قَصَدْتُكَ عَلَى أَنْ أَسْتَأْذِنَكَ فِي ذَلِكَ.

فَصَارَ الإمامُ الهادي عليه السلام يتكلَّمُ مَعَهَا بِعَطْفِ الأخوّةِ:

يَا مُبَارَكَةُ، إنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالى أَحَبَّ أَنْ يُشْرِكَكِ فِي الْأَجْرِ وَيَجْعَلَ لَكِ فِي الْخَيْرِ نَصِيباً.[2]

---

(١) مدينة معاجز الأئمة الإثني عشر، السيد هاشم البحراني، ج٨، ص٣٤.

(٢) كمال الدين و تمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢ ص ٤٢٧.

زواجٌ وَسْطَ أمواجِ المخاطِرِ

وَكَأَيِّ أحَدٍ يَعِيشُ ظَرفَهَا لَيسَ مِنَ الرُشْدِ بِمَكَانٍ أَنْ يُعلَنَ جِهَاراً عَنْ هَذَا الْإِقْتِرانِ الْمُبَارَكِ، كَيْفَ ذَاكَ وَالإمامُ الْهَادِي عليه السلام قَدْ أَبْعَدَهَا عَنْ بَيْتِهِ فِي نَفْسِ لَيْلَةِ وُصُولِهَا سامرآء، كَيلَا يَصِلَ خَبَرُ الجارِيَةِ الجدِيدَةِ لِأسْمَاعِ الطُّغَاةِ فيَتَسَاءلونَ مِنْ أَيْنَ شُرِيَتْ وكَيْفَ، مِمَّا يَفْتَحُ الْبَابَ عَنْ أُصولِهَا وبِالتَّالي انْكِشَاف شَخْصِهَا شَيْئًا فَشَيْئًا، فَكَان مِنَ سَدَاد الرأي إِخْرَاجُهَا سَرِيعًا مَن بَيْتِهِ عليه السلام ودفعُهَا لِأُخْتِهِ السَّيِّدَةِ حَكِيمَةَ عليها السلام، حَيْثُ الْعُيُونُ عَلَيهَا أَقَلُّ، إن لَمْ تَكُنْ مُنْعَدِمَةً ذَاكَ الزَّمَانَ، ونَفْسُ هَذِهِ الْحكمةِ أيضاً هِي الَّتِي دَعَتْ إلى عَدَمِ إعْلَانَ هَذَا الزَّوَاجِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلْقِ، بَلْ جَرَى الْإِقْتِرانُ وكَأَنَّهَا جَارِيَةٌ مِنْ جوَاري السَّيِّدَةِ حَكِيمَةَ قَدْ أَهدَتْهَا لابنِ أخيها الإمامِ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ عليه السلام.

تقولُ السيدةُ حكيمةُ عليها السلام:

فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ رَجَعْتُ إلى مَنْزِلِي فَزَيَّنْتُهَا وَهَيَّأْتُهَا لِأَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام وَجَمَعْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا فِي مَنْزِلِي،

فَأَقَامَ عِنْدِي أَيَّاماً، ثُمَّ مَضَى إلى وَالِدِهِ وَوَجَّهْتُ بِهَا مَعَه[1].

(١) روضة الواعظين و بصيرة المتعظين، الفتال النيسابوري، ج٢، ص٢٥٨.

الفصل الثالث

أراد قيصرُ ملكُ الرومِ أن يُزَوِّجَ حفيدتَهُ وهي كارهةً لزواجها، فَجَمَعَ فِي قَصْرِهِ الأعَاظِمَ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ، وفِي السَّاعَةِ المَوعُودَةِ، اهتَزَّتْ الأرضُ، فَانْهَار ابنُ أَخِي القَيْصَرِ مَصْرُوعَاً، فَتَغَيَّرَتْ أَلْوَانُ الْأَسَاقِفَةِ، وَطلبوا من الملك أنْ يعْفِيَهُم عَنْ هَذَا القُدَّاس، وَلكنَّ المَلِكَ أبى وأصرَّ فاستبدلَ الأَمِيرَ بِأَخِيه الآخَر، وَكانت المُفَاجَأةُ أنْ جَرَى عليه مَا جَرَى على الأوّلِ، فتَطَيَّرَ القيصرُ تطيُّراً شديداً وانفضَّ النَاسُ، وفي تلكَ الليلةِ رأتِ الأميرةُ المقدَّسةُ عليها السلام رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يَخْطِبُهَا لابنه الإمامِ الحسنِ العَسْكريِّ عليه السلام، وشَاءَتْ الأقدارُ أَنْ تُعْرَضُ الأَمِيرَةُ في سوقِ النَّخَّاسِينَ، إلى أن أرسلَ والدُ حبيبها مَنْ يَسْتَنْقِذُها مِنْ هناك، فلما أن وصلتْ بيتَه في سامرَّاء، ما لَبِثَ أن أودَعَها عندَ أختهِ السيدةِ حكيمة عليها السلام كي يكتمَ أمرَها، وَكي تَتعلمَ عندَها الفرائضَ وَالسُّنَنَ وِفْقَ دينِ الإسلامِ، ولَّما أن جاء اليومُ الموعودُ تَمَّ الزواجُ المُبَاركُ وَسْطَ ظروفٍ أمنيةٍ بَالِغَةِ الاضْطِرابِ وَالتَعْقِيدِ.

درسٌ من السيدةِ حكيمَةَ

وَهَكَذَا اجتمعَ الحبيبانِ تحتَ سقفٍ واحدٍ يُظِلُّهُما، بعدَ معاناةٍ دامتْ لسنواتٍ، واجهتْ فيها الأميرةُ المقدَّسةُ تحدياتٍ وَأحداثاً بالغةَ الخطورةِ، لقد تَمّ الْإِقْتِرانُ الْمَيْمُونُ الَّذِي نِتَاجُهُ سَيُغَيِّرُ مَعَالِمَ الأرضِ، وَبِكِتْمَانٍ تَامٍّ فِي بَيْتِ الْعَمَّةِ، وَبِعِلْمِ الْخَوَاصِّ والْمَأْمُونِينَ عِنْدَ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام، ثُمَّ انْتَقَلَا وَبِطَرِيقَةٍ هَادِئَةٍ إلى مَنْزِلِهِمَا عليهما السلام.

مَضَتْ أيامٌ منذُ خروجها من بيتِ العمّة.. فلَمْ تُطِقْ السَّيِّدَةُ حَكِيمَةُ فِرَاقَهَا، فَاخذتْ تَتَردد عليها، فَهِي كَانَتْ لَهَا بِمَثَابَةِ الْبِنْتِ الأنيسةِ لِأُمِّهَا، أَضِفْ إلى ذلك أَنَّهَا كَانَتْ تُجِلُّهَا وَتُقَدِّسُهَا تَقْدِيسًا في غايةِ الْعَظَمَةِ لِمَكَانَتِهَا مِنَ الله تَعَالى ومِنْ أهلِ الْبَيْتِ عليهم السلام، ولِأَنَّ اللهَ تَعَالى جَعَلَهَا مُسْتَوْدَعًا لِحُجَّتِهِ عَجَّلَ اللهُ فَرَجَهُ الشَّرِيفَ، فَلِذَا لَمْ تترك زِيَارَتَهَا، بَلْ كَانَتْ تَرْتَادُ مَنْزِلَ ابْنِ أخيهَا دَوْمَاً لِلِقَائِهَا عليها السلام، وَالْإِطِّلَاعِ عَلَى أحوالِ هَذَا الْمَلَاكِ الطَّاهِرِ وَالتَّشَرُّفِ بِخدمتِهَا، تَقُولُ السَّيِّدَةُ حَكِيمَةُ عليها السلام:

فَكُنْتُ بَعْدَ ذَلِكَ إذاَ دَخَلْتُ عَلَيهَا تَقومُ فَتُقَبِّلُ جَبْهَتِي، فَأُقَبِّلُ رَأْسَهَا، وَتُقَبِّلُ يَدِيَّ فَأُقَبِّلُ رِجليْهَا، وَتَمُدُّ يَدَهَا إلى خُفِّي لِتَنزَعَهُ فَأَمْنَعُهَا مِنْ ذَلِكَ، وأُقبِّلُ يَدهَا إجْلَالًا وإكْرَامًا لِلْمَحَلّ الَّذِي أَحَلَّهُ اللهُ فِيهَا[1].

أن تنحنيَ السَّيِدَةُ حكيمةُ عليها السلام - وهي ابنةُ إمامٍ معصومٍ وأختُ إمامٍ معصومٍ وعَمَّةُ إمام معصوم، وَهِيَ سَيِّدَةُ قَوْمِهَا وزعيمَتُهُم - لتقبِّلَ رِجْلَي السيدةِ المُقَدَّسَةِ و هِيَ مَنْ في مَقَامِ ابْنَتِهَا فَهَذَا درسٌ بليغٌ جداً، في تبجيلِ الأوليآءِ وإعزازِهِم، بِغَضِّ النَّظَرِعَنْ مَكَانَتِنَا وحَسَبِنَا ومَنْ نَكُونُ، فَهَذَا التواضعُ الصادقُ النَّاشِئُ مِنْ صَفَآءِ النَّفْسِ والمَوَدَّةِ الخَالِصَةِ هوَ مِفْتاحٌ لكلِّ خَيْرٍ، ولذا فإن اللهَ تَعَالى وفَّقَهَا لتكونَ شريكةً فِي ثَوَابِ زَوَاجٍ سَتكُونُ ثَمَرَتُهُ إنْجَابَ المُخَلِّصِ المَوعودِ، الذي بَشَّرَتْ بِهِ كُتُبُ السَّمآءِ منذُ آلآفِ السنينَ، وأخبرَتْ أنهُ سيَرِثُ الأَرضَ ومَنْ عَلَيْهَا.

(١) مدينة معاجز الأئمة الإثني عشر، السيد هاشم البحراني، ج٨، ص٣٤

قُرْبَانُ سرِّ اللهِ

.. وتَحَرَّكَتْ عَجَلَةُ الزَّمَانِ، تَرْسُمُ في جَوَانِبِهَا أحداثاً جساماً، وتَبْطِنُ مكائِدَ ضِدَّ أهْلِ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، إذ تكاثرت مؤامراتُ الطُّغَاةِ عَلَى ذُرِّيَّةِ مُحَمَّدٍ صلوات الله عليهم، سِيَّمَا أَنَّهُ قَدْ وَقَعَتْ لَهُم الأَخبارُ أَن الإمام الثَّانِيَ عَشرَ حَفِيدَ الامامِ الْهَادِي عليه السلام هُوَ الْمُعَدُّ لِإِزَالَةِ الجوْرِ والطُّغْيَانِ، فَاحْتَدَّ ظُلْمُ بَنِي الْعَبَّاسِ وتَعَسُّفُهُم، وكُلَّمَا مَرَّ الْوَقْتُ ازدادَ الطَّلَبُ، هُنَاكَ وخَشْيَةً عَلَى الأميرةِ الْمُقَدَّسَةِ وزَوْجِهَا أَبِي مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيِّ عليه السلام وخَوْفاً مِن اكْتِشَافِ أَمرِهِمَا، أَوْهَمَ الإمامُ الْهَادِي عليه السلام السُّلْطَانَ الْعبَّاسِيَّ وأَعْيُنَهُ، أَنَّ الإمامَ الَّذِي سَيَلِيهِ لَيْسَ أَبا مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيَّ عليه السلام، بَلْ ابْنَهُ السَّيِّدَ مُحَمَّداً المعروف بسَبْعِ الدجيلِ، وكَانَ لَابُدَّ لِأَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام مِنْ تَقْدِيمِ الْقَرَابِين لِلْحفَاظِ عَلَى سِرِّ الله تَعَالى، وَهَكَذَا كَانَ، إذ انصَبَّ جَهْدُ الظّلمةِ نَحوَ السَّيِّدِ مُحَمَّد بنِ الامام الْهَادي عليه السلام، فامتدت عَنَاصِرُ الإجرامِ، ودَسَّتْ السُّمَّ لَهُ غِيلةً فِي طعَامِهِ، واستُشْهِدَ سلَامُ الله عَلَيهِ ودُفِنَ فِي الْمَكَانِ الْمَعْرُوفِ الْيَوْمَ بقضاءِ بَلَد بِجِوَارِ مدينة سامراء.

قَدْ أَحْدَثَ اللهُ فِيكَ أَمْراً

كَانَ لِشَهَادَةِ السَّيِّدِ مُحَمَّد عليه السلام عَلَى قَلْبِ أَخِيهِ زَوْجِ الأَمِيرةِ الْمُقَدَّسَةِ وقْعُ الصَّاعِقَةِ، فَقَدْ افْتَدَى السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ أخاهُ بنَفْسِهِ، وَعَرَّضَهَا لِلْمُخَاطَرَةِ حتى اسْتشهدَ في سبيلِ الحفاظِ عليهِ.

وَقَد ذكرَ التَّارِيخُ صُورَةً عَجِيبَةً مِنْ صُوَرِ افتجاعِ الْإِمَامِ الْعَسْكَرِيِّ عليه السلام بِأَخِيهِ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ عليه السلام، حَيْثُ تَرْوِي بَعْضُ الْكُتُبِ أَنَّهُ بَينَما كَانَ يُجَهِّزُ السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ عليه السلام لِلْغُسْلِ والتَّكْفِينِ وقَدْ كَانَ مُسَجًّى فِي إِحْدَى غُرَفِ الْبَيْتِ، وكَانَتْ قَدْ فُرِشَت الْبُسُطُ فِي صَحْن دَار الإمامِ الْهَادِي عليه السلام، وَوُجُوهُ بَنِي هاشِمٍ وسَائِرُ النَّاسِ جُلُوسٌ حَوَالَيْهِ، إِذْ دَخَل الإمام الْحَسَنُ الْعَسْكَرِيُّ عليه السلام وهُوَ مَشْقُوقُ الجيْبِ[1]، حَتَّى قَامَ عَنْ يَمِينِ وَالِدِهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ أَبُو الْحَسَنِ الهادي عليه السلام بَعْدَ سَاعَةٍ مِنْ قِيَامِهِ، فقَالَ لَهُ:

يَا بُنَيَّ، أَحْدِثْ للهِ شُكْراً[2] فَقَدْ أَحْدَثَ فِيكَ

(١) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج٢، ص: ٣١٨

(٢) إن الأمر بالشكر جاء في سياق الحزن الشديد الذي ظهر على الامام

أَمْراً[1].

فَبَكَى الإمامُ الْحَسَنُ عليه السلام وَاسْتَرْجَعَ فَقَالَ:

الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعالَمِينَ، وَإِيَّاهُ أَسْأَلُ تَمَامَ نِعَمِهِ عَلَيْنَا، إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ[2].

مَا هُوَ ذَاكَ الأمرُ؟!

هَلْ هُوَ أَمرُ الْمُصِيبَةِ، فَهُوَ يُصَبِّرُهُ ويُوَاسِيهِ عَلَى مَا نَزَلَ بِهِ مِنْ عَظِيمِ الرَّزِيَّةِ وهَذَا يُشَابِهُ الْمَقْطَعَ فِي زِيَارَةِ عاشوراءَ الدَّاعِي لِلْحَمْدِ والشُّكْرِ عَلَى مُصِيبَةِ أَبِي عَبْدِالله الْحُسَيْنِ عليه السلام **(اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ لَكَ عَلَى مُصَابِهِمْ، الْحَمْدُ لله عَلَى عَظِيمِ رزِيَّتِي)**[3]، أَوْ أَنَّ

العسكري لفقد أخيه، وقد فهم البعض غلطاً ان الأمر هو أمر انتقال الامامة اليه من أخيه، و لعله إلتبس عليهم بسبب تمويه الامام الهادي عليه السلام على بني العباس حينما دفع ابنه السيد محمد في الواجهة سترا على الامام العسكري عليه السلام، و هذا الفهم الخاطئ ناشئ من عدم الاطلاع على الروايات التي تثبت ان الامامة مُنَصَّبَة و باسمآء الائمة عليهم السلام من زمن رسول الله صلى الله عليه وآله و الائمة السابقين، ومن تلك الروايات الرواية المشهورة بلوح فاطمة عليها السلام.

(١) الكافي للشيخ الكليني، ج١، ص٣٢٦، ح٤و٥

(٢) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفيد، ج٢، ص: ٣١٨

(٣) كتاب مفاتيح الجنان فصل زيارة عاشورآء المشهورة، نقلا عن الكتب المعتبرة.

الشُّكْرَ هُوَ عَلَى نَجَاتِهِ مِنَ الغِيلَةِ، إِذْ كَانَ هُوَ المَقْصُودُ حَقِيقَةً بِالقَتْلِ لَا أَخُوهُ، فالظَّالِمونَ كَانَتْ هِمَّتُهُم قَتْلَ الخَلِيفَةِ الحَادِي عَشَرَ وَالَّذِي تَوَهَّمُوا أَنَّهُ السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ لا الإِمامُ العَسْكَرِيُّ عليه السلام، فَظَنُّوا أَنَّهُمْ بِقَتْلِهِم لِلسَّيِّدِ مُحَمَّدٍ عليه السلام قَدْ أَحْبَطُوا مَشْرُوعَ الإمامةِ ووَأَدُوا الإمامَ الثَّانِيَ عَشَرَ وهُوَ لَا زَالَ فِي صُلْبِ أَبِيهِ، وَهَكَذَا يَقَعُونَ فِي الْوَهْمِ فَيَبْتَعِدُونَ عَنِ الإمام الْحَقِيقِيِّ ،إِذْ هَكَذَا ظَنَّ الْعَبّاسِيُّونَ وغَفِلُوا عَنِ الإمامِ الْعَسْكَرِيِّ عليه السلام، وهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الله بَالِغُ أمرِهِ، وأن ذَاكَ النُّورَ لَا زَالَ قَائماً فِي صُلْبِ أَبِيهِ الإمام الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ عليه السلام، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[1].

الأعينُ الآثِمَةُ

وَهَكَذَا ابْتَعَدَ الْخَطَرُ مَرْحَلِيًّا عَنِ الأمِيرةِ الْمُقَدَّسَةِ والإمام الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ عليه السلام وَالِدِيّ الإمامِ الْمَهْدِيّ مُخَلِّصِ آخَرِ الزَّمَانِ عَجَّلَ اللهُ فَرَجَهُ.

لكِنَّ الْأَعْيُنَ الآثمةَ لَمْ تَبْرَحْ عَنِ الإمام الْهَادِي عليه السلام،

(١) سورة الانفال آية ٣٠.

إِذْ ازدادَ خَوْفُهَا بَعْدَ رُؤْيَةِ تِلْكَ الْوُجُوهِ مِنَ الْوجهَاءِ والْكِبَارِ وقَدْ الْتَفُّوا حَوْلَه عليه السلام حين وفاة ابنه السيد محمد عليه السلام، إِذاً فَهُوَ يُشَكِّلُ خطَرًا عَلَيهِمْ مَا دَامَ حُرًّا طَلِيقًا، فَلَا بُدَّ مِنْ بَثّ الرُّعْبِ لتشتيتِ مُحِبِّيْهِ وشِيعَتِهِ، فَاقْتَحَمَ الجلاوزةُ بَيْتَ الإمام الْهَادِي عليه السلام تَكْرَاراً، وسُحِبَ مَخْفُوراً مِراراً لِمَجْلِسِ السُّلْطَانِ، إِمْعَانًا فِي أَذِيَّتِهِ ومُعَادَاتِهِ، إِلَى أَنْ قَرَّرَ الْخَلِيفَةُ الْعبَّاسِيُّ إِنْهَاءَ حَيَاةِ الإمامِ عليٍّ الْهَادِي عليه السلام وتَصْفِيَتَهِ، فاسْتُشْهِدَ بِالسُّمِّ، ورَحَلَتْ روحُهُ إِلى بَارِئِهَا فِي مُنْتَصَفِ سَنَةِ ٢٥٤ هجريَّة.

اشتدادُ الطَّلَبِ

..دارتْ سَنَةٌ عَلَى رَحِيلِ الإمام الْهَادِي عليه السلام اشْتَغَلَ فِيهَا مُلُوكُ وأمرَاءُ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي خِلَافَاتِهِمْ وَصِراعَاتِهِمْ الدَّاخِلِيَّةِ، وبَيْنَ فَيْنَةٍ وأُخرَى وَفِي إِطَارِ تَصْفِيَةِ الْخُصُومِ الْمُحْتَمَلِينَ، كَانَ السُّلْطَانُ الْعبَّاسِيُّ يَشْتَدُّ فِي طَلَبِ ذُرِّيَّةِ الإمامِ الْعَسْكَرِيِّ عليه السلام، إِذْ تَأَكَدَ لَهُ أَنَّهُ تَمَّتْ تَصْفِيَةُ الشَّخْصِ الخطأ الغيرِ مَطْلُوب - أي السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ بنُ الإِمَامِ الهَادِي عليه السلام - فَهَا هُوَ الْحسنُ الْعَسْكَرِيُّ عليه السلام

قَدْ جَلَسَ مَحَلَّ أَبِيهِ، وَأَنْ يَكُونَ ابْنُهُ هُوَ الْمُخَلِّصَ الْمَوْعُودَ الَّذِي تَحْكِي عنهُ الْمرويَّاتُ والْمَسْمُوعَاتُ هُوَ الرَّاجِحُ، وَقَدْ غَذَّى هَذِهِ الْقَنَاعَةَ عُلَمَاءُ الْبَلَاطِ وأكَّدوهَا لِمَلِكِهِمْ وأَخَافُوهُ.

تَشَابُه الولادَتَين

فَأَخَذَ السلطانُ يَطْلُبُ أَثَرَ وِلَادَةِ الإمام الْمَهْدِيّ عليه السلام كَمَا كَانَ يَطْلُبُ فِرْعَوْنُ أَثَرَ وِلَادَةِ نَبِيِّ اللهِ مُوسَى عليه السلام فكان هذا تشابهٌ بين الولادتين، ففي الروايةِ عَن الإمامِ الصَّادِقِ عليه السلام:

أَمَّا مَوْلِدُ مُوسَى عليه السلام، فَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَمَّا وَقَفَ عَلَى أَنَّ زَوَالَ مُلْكِهِ عَلَى يَدِهِ، أَمَرَ بِإِحْضَارِ الْكَهَنَةِ، فَدَلُّوهُ عَلَى نَسَبِهِ وَأَنَّهُ يَكُونُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَمْ يَزَلْ يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِشَقِّ بُطُونِ الْحَوَامِلِ مِنْ نِسَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، حَتَّى قَتَلَ فِي طَلَبِهِ نَيِّفاً وَعِشْرِينَ أَلْفَ مَوْلُودٍ، وَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ الْوُصُولُ إِلَى قَتْلِ مُوسَى عليه السلام بِحِفْظِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِيَّاهُ، وَكَذَلِكَ بَنُو أُمَيَّةَ وَبَنُو

الْعَبَّاسِ، لَمَّا وَقَفُوا عَلَى أَنَّ زَوَالَ مُلْكِهِمْ وَمُلْكِ الْأُمَرَاءِ وَالْجَبَابِرَةِ مِنْهُمْ عَلَى يَدِ الْقَائِمِ مِنَّا، نَاصَبُونَا الْعَدَاوَةَ، وَوَضَعُوا سُيُوفَهُمْ فِي قَتْلِ آلِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله وسلم وَإِبَادَةِ نَسْلِهِ طَمَعاً مِنْهُمْ فِي الْوُصُولِ إلى قَتْلِ الْقَائِمِ، وَيَأْبَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَكْشِفَ أَمْرَهُ لِوَاحِدٍ مِنَ الظَّلَمَةِ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ...وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُون..[1].

وَمِنْ هُنَا جَاءَ فِي زِيَارَتِهَا: (السَّلَامُ عَلَيكِ يا شَبِيهَةَ أُمِّ مُوسَى..) حَيْثُ تشابهتْ مع أُمِّ مُوسَى عليها السلام فِي طِلَبِ الْفَرَاعِنَةِ لَهَا ولِمَوْلُودِهَا الْمَوْعُودِ، فَضُرِبَ طَوْقٌ شَدِيدٌ مِنَ الكِتْمَانِ عَلَى شَخْصِ الأَمِيرَةِ الْمُقَدَّسَةِ، مِمَّا اضْطَرَّ الإِمَامَ الْعَسْكَرِيَّ عليه السلام أَنْ يُمَوِّهَ شَخْصَهَا مِراراً، فَأُبْدِلَ اسْمُهَا مِنْ نَرْجِسَ إلى صَقِيلَ وَسَوْسَنَ وَرَيْحَانَةَ.. وهَكَذَا كُلَّمَا اشْتَدَّ الطَّلَبُ تَبَدَّلْتِ الْأَسْمَاءُ، كَيْمَا تُعْرَفَ حَتَّى تَسَمَّتْ بِمَا يُقَارِبُ خَمْسَةَ أَسْمَاءٍ، حِفَاظاً عَلَيهَا، ولِيَقْضِيَ اللهُ أَمراً كَانَ مَفْعُولاً..

(١) الغيبة للشيخ الطوسي، ص١٦٧ـ١٧٣، ح١٢٩.

إفطارك اللَّيلَةَ عِندَنا

هَـذِهِ الْأَحْـدَاثُ جَعَلَـتْ السَّـيِّدَةَ حَكِيمَـةَ عليها السلام تَكُـونُ حَـذِرَةً عِنْـدَ زِيَارَتِهَـا لِابْـنِ أَخِيهَـا خَوفـاً عَلَيهِـمَا، ولـذا خَفَّفَـتْ مـن سَرَيَانِهَـا لبيتِهـما مَـعَ مَـا بِهـا مِـنْ شَـوْقٍ وَحَنِينٍ إِليهِـمَا، وَكَانَـتْ تَتَبَاطَـأُ فِي الذهَـابِ خَشْـيَةَ الْوُقُـوعِ فِي الْـمَحْذُورِ، إلى أن أَرْسَـلَ لَهَـا الإمـام الْعَسْـكَرِيُّ عليه السلام يَوْمًـا يَطْلُـبُ مِنهَـا أَنْ تَـزُورَهُ وقَـال:

يَـا عَمَّـةُ، اجْعَلِي إِفْطَـارَكِ اللَّيْلَـةَ عِنْدَنَـا فَإِنَّهَـا لَيْلَـةُ النِّصْفِ مِـنْ شَـعْبَانَ[1].

فَـمَا أَسْرَعَ أَنْ لَبَّـتْ دَعْوَتَـهُ وَهِـي التـي إِلَيْـهِ وَإِلَيهَـا مُشْـتَاقَةٌ...

بَلْ أَنْـتِ سَيِّـدَتِي

تَقُولُ السَّيِّدَةُ حَكِيمَةُ عليها السلام:

فَدَخَلْـتُ عَـلَى أَبِي مُحَمَّـدٍ عليه السلام.. فَجَـاءَتْنِـي نَرْجِـسُ.. تَخْلَـعُ خُفِّـي فَقَالَـتْ: يَـا مَوْلَاتِـي نَاوِلِينِـي خُفَّـكِ، فَقُلْـتُ: بَـلْ أَنْـتِ سَيِّـدَتِي

(١) روضة الواعظين، الفتال النيسابوري، ص٢٥٦.

وَمَـوْلَاتِي، وَاللهِ لَا أَدْفَـعُ إِلَيْـكِ خُفِّـي لِتَخْلَعِيـهِ وَلَا لِتَخْدِمِينِـي، بَـلْ أَنَـا أَخْدِمُـكِ عَـلَى بَصَـرِي، فَسَـمِعَ أَبُـو مُحَمَّـدٍ عليه السلام ذَلِـكَ فَقَـالَ: جَـزَاكِ اللهُ - يَـا عَمَّـةُ - خَـيْراً، فَجَلَسْـتُ عِنْـدَهُ إِلَى وَقْـتِ غُـرُوبِ الشَّـمْسِ..

أَفْطَـرَتْ السَّـيِّدَةُ حَكِيمَـةُ فِي بَيْـتِ ابـنِ أَخِيهَـا، ثُـمَّ هَمَّـتْ بِالْانْـصِرَافِ، وصَاحَـتْ بِجَارِيَـةٍ مِـنْ جـوَارِي الْبَيْـتِ أَنْ تُنَاوِلَهَـا ثِيَابَهَـا لِلْانْـصِرَافِ.

البِشَارةُ

فَقَال لِهَا الإمامُ أَبُو مُحَمَّدٍ العسكري عليه السلام:

لَا يَـا عَمَّتَـا بِـيتِي اللَّيْلَـةَ عِنْدَنَـا، فَإِنَّـهُ سَـيُولَدُ اللَّيْلَـةَ الْـمَوْلُودُ الْكَرِيـمُ عَـلَى اللهِ عَـزَّ وَجَـلَّ الَّذِي يُحْيِـي اللهُ عَـزَّ وَجَـلَّ بِـهِ الْأَرْضَ بَعْـدَ مَوْتِهَـا.

أَذْهَلَهَـا ابْـنُ أَخِيهَـا بِكَلَامِـهِ، فقَسَـاوَةُ الظُّـرُوفِ الأَمْنِيـةِ تُعَاكِـسُ مِثْـلِ هَكَـذا تَوَقُّـعٍ، فَهَـذِهِ بِشَـارَةٌ نَـذَرَتْ حَيَاتَهَـا وَهِـي تَعِيـشُ مُنْتَظِـرَةً لَهَـا، تَعُـدُّ اللَّيَـالِيَ والأَيَّـامَ، وكَانَـتْ تُمَنِّي نَفْسَـهَا أَنْ تَكُـونَ فِي الدُّنْيَـا لَمْ تَبْرَحْهَـا ذَاكَ الْيَـوْمَ، الْآنَ تَتَلَقَّاهَـا

مِـن فِيْ ابـنِ أَخِيهَـا الإمـام الـمعصومِ، وَهـي التـي كَانَـتْ تَعْلَـمُ أنَّ نَرْجِـسَ عليهـا السـلام هِـي أُمُ الْـمَوعُودِ، ولكـن حالهـا أنهـا مُطَـاردةٌ مِـن الظَلَمَـةِ، ولـذا قَالَـتْ مُنْدَهِشَـةً:

مِمَّـنْ يَـا سَـيِّدِي وَلَسْـتُ أَرَى بِنَرْجِـسَ شَـيْئاً مِـنْ أَثَرِ الْـحَبَـلِ؟[1]

فَقَالَ الإمامُ الْـحَسَنُ الْعَسْكَرِيُّ عليه السلام لَهَا:

مِنْ نَرْجِسَ لَا مِنْ غَيْرِهَا !![2]..

نَشْوَةُ الخَبَـر

فاعْـتَرَتِ السَّـيِّدَةَ حَكِيمَـةَ نَشْـوَةُ الْـخَبَرِ، وَأَقْلَعَـتْ مِـنْ مَكَانِهَـا كَالْطَّـيْرِ فَرَحَـاً وسُرُوراً، فَاشْتَـدَّتْ تُهَـرْوِلُ نَحـوَ الأمـيرةِ الْـمُقَدَّسَةِ، تَقـولُ السَّـيِّدَةُ حَكِيمَـةُ عليها السلام:

فَوَثَبْـتُ إِلَيْهَـا، فقلَّبْتُهَـا ظَهْـراً لِبَطْـنٍ، فَلَـمْ أَرَ بِهَـا أَثَـرَ حَبَـلٍ، فَعُـدْتُ إِلَيْـهِ عليه السلام فَأَخْبَرْتُـهُ بِـمَا فَعَلْـتُ فَتَبَسَّـمَ.[3]

---

(١) كمال الدين و تمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢، ص٤٢٧.

(٢) كمال الدين و تمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢، ص٤٢٧.

(٣) كمال الدين و تمام النعمة، الشيخ الصدوق،ج٢، ص٤٢٧.

فقَالَ الإمامُ العسكريُّ لَها:

إِذَا كَانَ وَقْتُ الْفَجْرِ يَظْهَرُ لَكِ بِهَا الْحَبَلُ، لِأَنَّ مَثَلَهَا مَثَلُ أُمِّ مُوسَى عليها السلام، لَمْ يَظْهَرْ بِهَا الْحَبَلُ وَلَمْ يَعْلَمْ بِهَا أَحَدٌ إلى وَقْتِ وِلَادَتِهَا، لِأَنَّ فِرْعَوْنَ كَانَ يَشُقُّ بُطُونَ الْحُبَالَى فِي طَلَبِ مُوسَى وَهَذَا نَظِيرُ مُوسَى عليه السلام.[1]

لَا تُنْكِرِينَ مَا فَعَلْتُ

قَالَتْ حَكِيمَةُ عليها السلام:

فَعُدْتُ إِلَيْهَا[2]، فَخَاطَبَتْنِي بِالسِّيَادَةِ فَخَاطَبْتُهَا بِمِثْلِهَا، فَقَالَتْ لِي: فَدَيْتُكِ، فَقُلْتُ لَهَا: أَنَا فِدَاكِ وَجَمِيعُ الْعَالَمِينَ، فَأَنْكَرَتْ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لَهَا: لَا تُنْكِرِينَ مَا فَعَلْتُ، فَإِنَّ اللهَ سَيَهَبُ لَكِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ غُلَاماً سَيِّداً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهُوَ فَرَجُ الْمُؤْمِنِينَ، فَاسْتَحْيَتْ[3]، فَأَخْبَرَتْهَا

(١) كمال الدين و تمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢، ص٤٢٧.

(٢) كمال الدين و تمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢، ص٤٢٧.

(٣) بحار الأنوار للعلامة المجلسي، ج٥١، ص٢٥-٢٦، ب١، ح٣٧-بتصرف ففيه تقديم وتأخير لضرورة الجمع بين النصوص -

بِـمَا قَـالَ ابـنُ أخـي عليه السلام[1].

الليلةُ الـموعودةُ

قالَتْ السيدة حَكِيمَةُ عليها السلام:

وَبَايَتُّهَـا فِي غرفـةٍ واحدةٍ[2]، فَغَفَـوْتُ غَفْـوَةً، ثُمَّ اسْتَيْقَظْـتُ فَلَـمْ أَزَلْ مُفكِّـرَةً فِيـمَا وَعَـدَنِي أَبُـو مُحَمَّـدٍ عليه السلام مِنْ أَمْرِ وَلِيِّ الله عليه السلام، فَقُمْـتُ قَبْـلَ الْوَقْـتِ الَّـذِي كُنْـتُ أَقُـومُ فِي كُلِّ لَيْلَـةٍ لِلصَّلَاةِ، فَصَلَّيْـتُ صَـلَاةَ اللَّيْـلِ حَتَّـى بَلَغْـتُ إلى الْوَتْـرِ، فَوَثَبَـتْ نرجـسُ فَزِعَـةً، وَخَرَجَـتْ وَأَسْـبَغَتْ الْوُضُـوءَ، ثُـمَّ عَـادَتْ فَصَلَّـتْ صَـلَاةَ اللَّيْـلِ وَبَلَغَـتْ إلى الْوَتْـرِ، فَوَقَـعَ فِي قَلْبِـي أَنَّ الْفَجْـرَ قَـدْ قَـرُبَ، فَقُمْـتُ لِأَنْظُـرَ فَـإِذَا بِالْفَجْـرِ الْأَوَّلِ قَدْ طَلَـعَ، فَتَـدَاخَلَ قَلْبِـيَ الشَّـكُّ مِـنْ وَعْدِ أَبِي مُحَمَّـدٍ عليه السلام.

---

(١) كمال الدين و تمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢، ص٤٢٧.

(٢) الأصل "في بَيْتٍ وَاحِدٍ"، و البيت في لغة العرب القدماء هي الغرفة في لغتنا الحاضرة.

فَنَادَاها الإمامُ عليه السلام ابتداءً منه، مِنْ حُجْرَتِهِ:

لَا تَشُكِّي، وَكَأَنَّكِ بِالْأَمْرِ السَّاعَةَ قَدْ رَأَيْتِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى.

قَالَتْ السيدة حَكِيمَةُ عليها السلام:

فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام وَمِمَّا وَقَعَ فِي قَلْبِي، وَرَجَعْتُ نحو الغرفة[1] وَأَنَا خَجِلَةٌ[2]، فاسْتَقْبَلَتْنِي نَرْجِسُ تَرْتَعِدُ[3]، وَقد خَرَجَتْ فَزِعَةً[4]، فَلَقِيتُهَا عَلَى البَابِ[5]، وضممتُها إلى صدري[6]، فَقُلْتُ: اسْمُ الله عَلَيْكِ[7] بِأَبِي أَنْتِ وَأُمِّي[8]، ثُمَّ قُلْتُ لَهَا: أَتِحُسِّينَ شَيْئاً؟[9]

---

(١) الاصل « إلى البيت».

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي، ص٢٣٥، ح٢٠٤.

(٣) كشف الغمة للعلامة الإربلي، ج٣، ص٣٠١.

(٤) غيبة الشيخ الطوسي ص ٢٣٥.

(٥) الاصل «على باب البيت».

(٦) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢ ص ٤٢٨.

(٧) كمال الدين و تمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢، ص٤٢٥.

(٨) غيبة الشيخ الطوسي ص ٢٣٥.

(٩) كمال الدين و تمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢، ص٤٢٥.

أجابتها الأميرةُ المقدَّسةُ عليها السلام :

نَعَمْ يَا عَمَّة! إِنِّي لَأَجِدُ أَمْراً شَدِيداً !

فقالتْ لها السيدةُ حكيمةُ عليها السلام:

لَا خَوْفَ عَلَيْكِ إِنْ شَاءَ الله تَعَالى[1]، اجْمَعِي نَفْسَكِ وَاجْمَعِي قَلْبَكِ فَهُوَ مَا قُلْتُ لَكِ.[2]

فَصَاحَ أَبُو مُحَمَّدٍ عليه السلام إلى عمتِهِ وَقَالَ لها:

اقْرَئِي عَلَيْهَا إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ.

قالت السيدة حكيمة عليها السلام:

فَأَقْبَلْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهَا، وَقُلْتُ لَهَا: مَا حَالُكِ؟

قَالَتْ الأميرةُ المقدسةُ عليها السلام :

ظَهَرَ بِيَ الْأَمْرُ الَّذِي أَخْبَرَكِ بِهِ مَوْلَايَ![3].

تقول السيدةُ حكيمةُ عليها السلام:

فَأَقْبَلْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهَا كَمَا أَمَرَنِي، فَأَجَابَنِي الْجنِينُ مِنْ بَطْنِهَا يَقْرَأُ مِثْلَ مَا أَقْرَأُ وَسَلَّمَ

---

(١) غيبة الشيخ الطوسي ص ٢٣٥.

(٢) كمال الدين و تمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢، ص٤٢٥.

(٣) كمال الدين و تمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢، ص٤٢٨.

عَـلَيَّ، فَفَزِعْـتُ لِمَـا سَـمِعْتُ!

فَصَاحَ بِي أَبُو مُحَمَّدٍ عليه السلام:

لَا تَعْجَبِـي مِـنْ أَمْـرِ اللهِ عَـزَّ وَجَـلَّ، إِنَّ اللهَ تَبَـارَكَ وَتَعَـالَى يُنْطِقُنَـا بِالْحِكْمَـةِ صِغَـاراً، وَيَجْعَلُنَـا حُجَّـةً فِي أَرْضِـهِ كِبَـاراً..[1]

فَلَـمْ يَسْـتَتِمَّ الْـكَلَامَ فـإذا فَجـأة غُيِّبَـتْ عَنهـا الأمـيرةُ الـمقدَّسةُ، تقـولُ السـيدةُ حكيمـةُ عليها السلام:

فَلَـمْ أَرَهَـا كَأَنَّـهُ ضُرِبَ بَيْنِـي وَبَيْنَهَـا حِجَـابٌ، فَعَـدَوْتُ نَحْـوَ أَبِي مُحَمَّـدٍ عليه السلام وَأَنَـا صَارِخَـةٌ!

فَالْتَفَـتَ الإمـامُ أَبـو مُحَمَّـدٍ الْعَسْـكَرِيُّ عليه السلام نَحوَهَـا وَقَـالَ:

ارْجِعِي يَا عَمَّة، فَإِنَّكِ سَتَجِدِيهَا فِي مَكَانِهَا.

أَثَر النُّورِ

فما هي إلا أن رَجَعَتْ، تقولُ السيدةُ حكيمةُ عليها السلام:

(١) مثلهـم كمثـل عيسـى عليه السلام حينـما أنطقـه الله تَعَـالى ﴿فَأَشَـارَتْ إِلَيْـهِ قَالُـوا كَيْـفَ نُكَلِّـمُ مَـنْ كَانَ فِي الْمَهْـدِ صَبِيًّـا قَـالَ إِنِّي عَبْـدُ اللهِ آتَـانِيَ الْكِتَـابَ وَجَعَلَنِـي نَبِيًّا﴾ مريم آية٢٩.

فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ كُشِفَ الْغِطَاءُ الَّذِي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا، وَإِذَا أَنَا بِهَا وَعَلَيْهَا مِنْ أَثَرِ النُّورِ مَا غَشِيَ بَصَرِي.. فَأَخَذَتْنِي فَتْرَةٌ وَأَخَذَتْهَا فَتْرَةٌ، فَانْتَبَهْتُ بِحِسِّ سَيِّدِي، فَكَشَفْتُ الثَّوْبَ عَنْهُ فَإِذَا أَنَا بِالصَّبِيِّ عليه السلام[1] سَاجِداً[2]، منقلباً[3] يَتَلَقَّى الْأَرْضَ بِمَسَاجِدِهِ[4] على وَجْهِهِ، جَاثِياً عَلَى رُكْبَتَيْهِ[5]، وعَلَى ذِرَاعِهِ الْأَيْمَنِ مَكْتُوبٌ: جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً[6]، رَافِعاً سَبَّابَتَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ جَدِّي مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ وَأَنَّ أَبِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ عَدَّ إِمَاماً إِمَاماً إِلى أَنْ بَلَغَ إِلى نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ عليه السلام: اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي وَأَتْمِمْ لِي أَمْرِي وَثَبِّتْ وَطْأَتِي وَامْلَأِ الْأَرْضَ بِي عَدْلًا

(١) كمال الدين و تمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢، ص٤٢٥.
(٢) كمال الدين و تمام النعمة ،الشيخ الصدوق، ج٢، ص٤٢٨.
(٣) إثبات الوصية للمسعودي، ص٢٥٧.
(٤) كمال الدين و تمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢، ص٤٢٥.
(٥) كمال الدين و تمام النعمة ،الشيخ الصدوق، ج٢، ص٤٢٨.
(٦) الغيبة للشيخ الطوسي، ص٢٣٩.

وَقِسْطاً[1]، فضَمَمْتُهُ إِلَيَّ فَوَجَدْتُهُ مَفْرُوغاً مِنْهُ[2]، مُطَهَّرُ الخِتَانةِ[3] نَظِيفٌ مُتَنَظِّفٌ.[4]

الطَّيْرُ تُرَفْرِفُ عَلَى رَأْسِهِ

فَصَاحَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ العسكري عليه السلام وَقَالَ:

يَا عَمَّة تَنَاوَلِيهِ فَهَاتِيهِ[5].

تقول العمَّة عليها السلام:

فَتَنَاوَلْتُهُ[6] فلَفَفْتُهُ فِي ثَوْبٍ وَحَمَلْتُهُ إلى أَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام[7]، فَلَمَّا مَثُلْتُ بَيْنَ يَدَيْ أَبِيهِ وَهُوَ على يَدَيَّ سَلَّمَ عَلَى أَبِيهِ، فَتَنَاوَلَهُ الْحَسَنُ عليه السلام مِنِّي، وَالطَّيْرُ تُرَفْرِفُ عَلَى رَأْسِهِ[8]، فَوَضَعَ يَدَيْهِ تَحْتَ إِلْيَتَيْهِ وَظَهْرِهِ، وَوَضَعَ قَدَمَيْهِ عَلَى

---

(١) كمال الدين و تمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢، ص٤٢٨.

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي، ص٢٠٧.

(٣) عيون المعجزات لابن عبد الوهاب، ص١٢٩.

(٤) كمال الدين و تمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢، ص٤٢٥.

(٥) بحار الأنوار للعلامة المجلسي، ج٥١، ص١٣.

(٦) بحار الأنوار للعلامة المجلسي، ج٥١، ص١٣.

(٧) الغيبة للشيخ الطوسي، ص ٢٣٩.

(٨) كمال الدين و تمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢، ص٤٢٨

صَدْرِهِ، وَأَخْرَجَ لِسَانَهُ فَمَسَحَهُ عَلَى عَيْنَيْهِ فَفَتَحَهَا، ثُمَّ أَدْلَى لِسَانَهُ فِي فِيهِ[1] وفِي أُذُنَيْهِ[2]، وَأَمَرَّ يَدَهُ عَلَى عَيْنَيْهِ وَسَمْعِهِ وَمَفَاصِلِهِ[3]، وَأَجْلَسَهُ فِي رَاحَتِهِ الْيُسْرَى فَاسْتَوَى وَلِيُّ اللهِ المهديُّ عليه السلام جَالِساً.

انْطِقْ بِقُدْرَةِ اللهِ

فَمَسَحَ أبوه بيَدِهُ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ لَهُ:

يَا بُنَيَّ انْطِقْ بِقُدْرَةِ اللهِ!

فنطقَ كما نطقَ المسيحُ عليه السلام في مهدِهِ، وَاسْتَعَاذَ وَلِيُّ اللهِ عليه السلام مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَاسْتَفْتَحَ وقال:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ونُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنُودَهُما مِنْهُمْ ما

(١) كمال الدين و تمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢، ص٤٢٥

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي، ص٣٢٦.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق، ص٤٢٥، ب٤٢، ح١.

كانُوا يَحْذَرُونَ[1].

وَمن ثم صَلَّى عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، وَعَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَئِمَّةِ عليهم السلام وَاحِداً وَاحِداً، حَتَّى انْتَهَى إلى أَبِيهِ[2]، وَدَعَا لِأَوْلِيَائِهِ بِالْفَرَجِ عَلَى يَدَيْهِ ثُمَّ أَحْجَمَ[3].

فنَاوَلَهُ والدُه لِسَانَهُ فَشَرِبَ مِنْهُ[4]، ثُمَّ قَالَ لعمّتِهِ:

امْضِي بِهِ إلى أُمِّهِ لِتُرْضِعَهُ، وَرُدِّيهِ إِلَيَّ.

فَأَخذَتْهُ السَّيِّدَةُ حَكِيمَةُ إلى الأميرةِ الْمُقَدَّسَةِ، فَتَنَاوَلَتْهُ ووجهُهَا يَتَهَلَّلُ فَرَحاً بِمَوْلُودِهَا، وهِي تَشَمُّهُ تَارَةً وتُقَبِّلُهُ أُخْرَى، وتُنَاغِيهُ، حَتَّى أَرْضَعَتْهُ، والطُّيُورُ تَحُومُ حَوَالَيهِ، ثُمَّ اسْتَرَدَّتْهُ السَّيِّدَةُ حَكِيمَةُ عليها السلام ورَدَّتْهُ إلى أَبِيهِ أَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام والطَّيْرُ تُرَفْرِفُ عَلَى رَأْسِهِ، فَصَاحَ بِطَيْرٍ مِنهَا فَقَالَ لَهُ:

اِحْمِلْهُ واحْفَظْهُ..[5]

---

(١) القصص: ٥- ٦

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي، ص ٢٣٦

(٣) الغيبة للشيخ الطوسي، كتاب الغيبة للحجة ص ٢٣٩

(٤) كمال الدين و تمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢، ص٤٢٨

(٥) كمال الدين و تمام النعمة ،الشيخ الصدوق، ج٢ ص٤٢٨

عند سُرَادِقِ العَرْشِ

فَتَنَاوَلَهُ الطَّيْرُ وَطَارَ بِهِ فِي جَوِّ السَّمَاءِ، وَاتَّبَعَهُ سَائِرُ الطَّيْرِ، فَسَمِعَتْ السيدةُ حكيمةُ عليها السلام ابنَ أخيها الإمامَ أَبا مُحَمَّدٍ العسكريَّ عليه السلام يَقُولُ:

أَسْتَوْدِعُكَ اللهَ الَّذِي أَوْدَعَتْهُ أُمُّ مُوسَى مُوسَى عليه السلام! (١)

فَلَمَّا أَنْ رَأَتْ ابْنَهَا قَدْ عُرِجَ بِهِ إلى جَوْفِ السَّمَاءِ بَكَتْ الْأَمِيرَةُ الْمُقَدَّسَةُ فَقَال الامامُ العَسْكَرِيُّ عليه السلام لَهَا:

اسْكُتِي فَإِنَّ الرَّضَاعَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ إِلَّا مِنْ ثَدْيِكِ، وَسَيُعَادُ إِلَيْكِ كَمَا رُدَّ مُوسَى إلى أُمِّهِ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إلى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ﴾ (٢). (٣)

قَالَتْ السيدة حَكِيمَةُ عليها السلام:

وَمَا هَذَا الطَّيْرُ؟!

فَأَجَابَهَا الإمامُ الْعَسْكَرِيُّ عليه السلام:

---

(١) كمال الدين و تمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢ ص٤٢٨

(٢) القصص: ١٣.

(٣) كمال الدين و تمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢ ص٤٢٨

هَـذَا رُوحُ الْقُـدُسِ الْـمُوَكَّلُ بِالْأَئِمَّـةِ عليهم السلام، يُوَفِّقُهُـم وَيُسَـدِّدُهُم وَيُرَبِّيهُـم[1] بِالْعِلْـمِ[2].

وفي روايةٍ أنَّ الإمامَ العَسْكَريَّ عليه السلام قالَ:

لَمَّـا وَهَـبَ لِي رَبِّي مَهْـدِيَّ هَـذِهِ الْأُمَّـةِ أَرْسَـلَ مَلَكَـيْنِ فَحَمَـلَاهُ إلى سُرَادِقِ الْعَـرْشِ حَتَّـى وَقَفَـا بِـهِ بَـينَ يَـدَيِ اللهِ عَـزَّ وَجَـلَّ فَقَـالَ لَـهُ: مَرْحَبـاً بِـكَ عَبْـدِي لِنُصْـرَةِ دِينِـي وَإِظْهَـارِ أَمْـرِي، وَمَـهْدِيِّ عِبَـادِي، آلَيْـتُ أَنِّي بِـكَ آخُـذُ وَبِـكَ أُعْطِـي، وَبِـكَ أَغْفِـرُ وَبِـكَ أعَـذِّبُ، ارْدُدَاهُ أَيُّهَـا الْـمَلَكَـانِ، رُدَّاهُ رُدَّاهُ عَـلَى أَبِيـهِ رَدّاً رَفِيقـاً وَأَبْلِغَـاهُ فَإِنَّـهُ فِي ضَمَـانِي وَكَنَفِي وَبِعَيْنِي إلى أَنْ أُحِـقَّ بِـهِ الْـحَقَّ وَأُزْهِـقَ بِـهِ الْبَاطِـلَ وَيَكُونَ الدِّيـنُ لِي وَاصِبـا[3].

(١) في بعض النسخ «يُزَيِّنُهُمْ بِالعِلْمِ».

(٢) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢، ص: ٤٢٩.

(٣) بِحَارُ الْأَنْوَارِ، للشيخ المجلسي، ج٥١، ص٢٧.

وقَدْ جَاءَ قَرِيبٌ مِنْ هَذَا فِي سِفْرِ الرُّؤْيَا[1] فِي الإِنْجِيلِ الكِتَابِ المُقَدَّسِ عِنْدَ المَسِيحِيِّينَ، عَلَى أَنَّهُ بِشَارَةٌ مِنَ المَسِيحِ عِيسى عليه السلام يَنْقُلُهَا عَنْهُ تِلْمِيذُهُ يُوحَنَّا اللَّاهُوتِيُّ.

---

(١) ينقل صاحب أعلام الهداية ج١ ص ٢٦: (وَالتَّنِّينُ وَقَفَ أَمَامَ المَرْأَةِ العَتِيدَةِ حَتَّى تَلِدَ لِيَبْتَلِعَ وَلَدَهَا مَتَى وَلَدَتْ) في سفر الرّؤيا ١٢: ٣، أي: أنّ السّلطة كانت تريد قتل هذا الغلام، ولكن بعد ولادة الطّفل. يقول باركلي في تفسيره: (عِنْدَمَا هَجَمَتْ عَلَيْهَا المَخَاطِرُ اخْتَطَفَ اللهُ وَلَدَهَا وَحَفِظَهُ). والنّص: (وَاخْتَطَفَ اللهُ وَلَدَهُ) سفر الرؤيا ١٢: ٥، أي: أنَّ الله غيب هذا الطفل كما يقول باركلي.

ويقول مؤلف أعلام الهداية قبل كلامه هذا: إن من الواضح لمن يمعن النظر في نصوص تلك البشارات السماوية أنها تقدم مواصفات للمصلح العالمي، لا تنطبق على غير المهدي المنتظر الإماميّ طبقاً لعقيدة مدرسة أهل البيت عليهم السلام، لذلك فإن من لم يتعرف على هذه العقيدة لا يستطيع التوصل إلى المصداق الذي تتحدّث عنه، كما نلاحظ ذلك مثلاً في أقوال مفسّري الإنجيل بشأن الآيات (١ ـ ١٧) من سفر الرؤيا الفصل الثّاني عشر «مُكَاشَفَاتُ يُوحَنَّا اللَّاهُوتِيِّ»، فهم يصرحون بأن «الشخص الذي تتحدث عنه البشارة الواردة في هذه الآيات لم يولد بعد، لذا فإنّ تفسيرها الواضح ومعناها البين موكول للمستقبل والزمان المجهول الذي سيظهر فيه»، في حين أنّ هذه الآيات تتحدث بوضوح عن الحكومة الإلهية التي يقيمها هذا الشخص في كل العالم، ويقطع دابر الأشرار والشياطين، وهي المهمة التي حددتها البشارات الأخرى بأنها محور حركة المصلح العالمي.

لكن مفسري الإنجيل لم يستطيعوا تطبيقها على المصداق الذي اختاروه لهذا المصلح وهو السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام لأنّ البشارة واردة عن يوحنا اللاهوتي عن السيد المسيح فهو المبشر بمجيء هذا المنقذ، كما أنهم لم يتعرفوا على عقيدة أهل البيت عليهم السلام في المهدي المنتظر (عليه السلام)، لذلك لم يستطيعوا الاهتداء إلى مصداق تلك الآيات.

يضحكُ ويناجي

قالتِ السَّيِّدَةُ حَكِيمَةُ عليها السلام:

فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ اشْتَدَّ شَوْقِي إلى وَلِيِّ الله، فَأَتَيْتُهُمْ عَائِدَةً، فَبَدَأْتُ بِالْحُجْرَةِ الَّتِي فِيهَا نرجسُ، فَإِذَا أَنَا بِهَا جَالِسَةً.. وَعَلَيْهَا أَثْوَابٌ صُفْرٌ وَهِيَ مُعَصَّبَةُ الرَّأْسِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهَا، وَالْتَفَتُّ إلى جَانِبِ الْبَيْتِ وَإِذَا بِمَهْدٍ عَلَيْهِ أَثْوَابٌ خُضْرٌ، فَعَدَلْتُ إلى الْمَهْدِ، وَرَفَعْتُ عَنْهُ الْأَثْوَابَ، فَإِذَا أَنَا بِوَلِيِّ الله نَائِمٌ عَلَى قَفَاه، غَيْرَ مَحْزُومٍ وَلَا مَقْمُوطٍ، فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ وَجَعَلَ يَضْحَكُ وَيُنَاجِينِي بِإِصْبَعِهِ، فَتَنَاوَلْتُهُ وَأَدْنَيْتُهُ إلى فَمِي لِأُقَبِّلَهُ، فَشَمَمْتُ مِنْهُ رَائِحَةً مَا شَمَمْتُ قَطُّ أَطْيَبَ مِنْهَا[1].

عَقِيقَةٌ بمئاتِ الذَّبَائِحِ

لم تكُنْ الدُّنْيَا تَسَعُ وَالِدَهُ مِنْ شِدَّةِ فَرْحَتِهِ، بِقُدُومِ وَلِيِّ الله الأَعْظَمِ لِهَذِهِ الدُّنْيَا، وَلِذَا بَعَثَ إِلَى أَبِي عَمْرو عُثْمانَ

(١) الغيبة للشيخ الطوسي، ص ٢٣٨.

بـنِ سَـعِيدٍ العَمْـرِيِّ فَصَـارَ إِلَيْـهِ فَقَـالَ لَـهُ:

اشْـتَرِ عَشَرَةَ آلَافِ رِطْـلِ خُبْـزٍ وَعَـشَرَةَ آلَافِ رِطْـلِ لَحْـمٍ وَفَرِّقْـهُ حِسْـبَةً عَـلَى بَنِـي هَاشِـمٍ.(١)

وفِي الْيَـوْمِ السَّـابِعِ جَـرَتْ السُّـنَّةُ فعـقَّ عَنْـهُ، وَكَانَـتْ عَقِيقَتُـهُ بِثَلَاثِمِائَـةِ كَبْـشٍ.(٢)

نَشْأَةُ الأَوْلَادِ إِذَا كَانُوا أَئِمَّةً

قَالَتْ السَّيِّدَةُ حَكِيمَةُ عليها السلام:

فَلَـمَّا كَانَ فِي الْيَـوْمِ السَّـابِعِ جِئْـتُ فَسَـلَّمْتُ وَجَلَسْـتُ فَقَـالَ: هَلُمِّـي إِلَيَّ ابْنِـي فَجِئْـتُ بِسَـيِّدِي عليه السلام وَهُـوَ فِي الْـخِرْقَـةِ، فَفَعَـلَ بِـهِ كَفَعْلَتِـهِ الْأُولَى، ثُـمَّ أَدْلَـى لِسَـانَهُ فِي فِيـهِ كَأَنَّـهُ يُغَذِّيـهِ لَبَناً أَوْ عَسَـلاً.(٣)

فَـلَـمَّـا كَـانَ بَـعْـدَ أَرْبَعِـينَ يَـوْمـاً دَخَـلَـتِ العَـمَّةُ حكيمـةُ عليها السلام عَـلَى أَبِي مُحَمَّـدٍ الـحسن العسـكري عليه السلام،

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الصدوق، ج٢، ص٤٣١.

(٢) مستدرك الوسائل، النوري، ج١٥، ص١٤١، ح١٧٧٩٥.
جامع أحاديث الشيعة، البروجوردي، ج٢١، ص٣٦٥، ب٣٢، ح١٢٦٢٥٢.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص٤٢٥.

فَـإِذَا ابـنُ الأمـيرة يَمْـشِي فِي الـدَّارِ تَقُـولُ السَّـيِّدَةُ عليها السلام:

فَلَـمْ أَرَ وَجْهـاً أَحْسَـنَ مِـنْ وَجْهِـهِ وَلَا لُغَـةً أَفْصَـحَ مِـنْ لُغَتِـهِ.

فَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ العَسْكَرِيُّ عليه السلام:

هَذَا الْـمَوْلُودُ الْكَرِيمُ عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ.

فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ حَكِيمَةُ عليها السلام:

سَـيِّدِي أَرَى مِـنْ أَمْـرِهِ مَـا أَرَى وَلَـهُ أَرْبَعُـونَ يَوْمـاً![1] هَـذَا ابْـنُ سَـنَتَيْنِ؟!

فَتَبَسَّمَ الإِمامُ العَسْكَرِيُّ عليه السلام ثُمَّ قَالَ:

إِنَّ أَوْلَادَ الْأَنْبِيَـاءِ وَالْأَوْصِيَـاءِ إِذَا كَانُـوا أَئِمَّـةً يَنْشَـؤُونَ بِخِـلَافِ مَـا يَنْشَـأُ غَيْرُهُـمْ، وَإِنَّ الصَّبِـيَّ مِنَّـا إِذَا كَانَ أَتَـى عَلَيْـهِ شَـهْرٌ كَانَ كَمَـنْ أَتَـى عَلَيْـهِ سَـنَةٌ، وَإِنَّ الصَّبِـيَّ مِنَّـا لَيَتَكَلَّـمُ فِي بَطْـنِ أُمِّـهِ، وَيَقْـرَأُ الْقُـرْآنَ، وَيَعْبُـدُ رَبَّـهُ عَـزَّ وَجَـلَّ، وَعِنْـدَ الرَّضَـاعِ تُطِيعُـهُ الْـمَلَائِكَـةُ، وَتَنْـزِلُ عَلَيْـهِ صَبَاحـاً وَمَسَـاءً[2].

(١) الغيبة للشيخ الطوسي، ص٢٣٩.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الصدوق، ج٢، ص٤٢٩.

نِهَايَةُ الأَمِيرَةِ الْمُقَدَّسَةِ

أَمَّا مَا كَانَ مِنْ شَأْنِ الأَمِيرَةِ الْمُقَدَّسَةِ، فَإِنَّ الإِمَامَ أَبَا مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيَّ عليه السلام كَشَفَ لَهَا عَنْ مُسْتَقْبَلِ الأيام وَمَا سَيَجْرِي عَلَى عِيَالِهِ مِنْ مَآسٍ وظُلْمٍ، وأَنَّهُ سَيَرْحَلُ عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا فِي سَنَةِ ٢٦٠ لِلْهجرةِ، فَسَأَلَتْهُ أَنْ يَدْعُوَ الله عَزَّ وَجَلَّ لَهَا أَنْ يَجْعَلَ منيَّتَهَا قَبْلَهُ، فَهِيَ لَا تُطِيقُ الدُّنْيَا خِلْواً مِنْهُ، فَعَرَجَتْ رَوحُهَا قَبْلَهُ إِلَى رَبِّ السَّمَاءِ، وَانْتَقَلَتْ إِلَى الْعَالَمِ الْآخَرِ.

لَوحٌ على القبرِ

وَوُضِعَ عَلَى قَبْرِهَا لَوْحٌ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ:

هَذَا قَبْرُ أُمِّ مُحَمَّدٍ[1].

وَدَفَنَهَا الإِمَامُ بِجِوَارِ قَبْرِ أَبِيهِ، وَأَوْصَى هُوَ بِدَفْنِهِ مُتَوَسِّطاً بَيْنَهُمَا، فَأَصْبَحَ الإِمَامُ العَسْكَرِيُّ فِي قِبْلَتِهَا وَالإِمَامُ الهَادِي فِي قِبْلَتِهِمَا، وَهَكَذَا أَوْصَتِ السَّيِّدَةُ حَكِيمَةُ أَنْ تُدْفَنَ تَحْتَ أَقدَامِهِمْ عليهم السلام، فَاجْتَمَعَتْ هَذِهِ

(١) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢ ص ٤٣١.

الْقُبُورُ الأَرْبَعَةُ تَحْتَ قُبَّةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ مِنْ أَكْبَرِ قِبَابِ الْعَالَمِ الإِسْلَامِيِّ، لِتَكُونَ شَاهِداً عَلَى سُمُوِّ قِصَّةٍ هِيَ مِنْ أَرْوَعِ قَصَصِ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ، فِي حَرَمٍ مُقَدَّسٍ عُرِفَ بِاسْمِ حَرَمِ الإِمَامَيْنِ الْعَسْكَرِيَّيْنِ عليهما السلام فِي مَدِينَةِ سَامِرَاءَ الَّتِي تَقَدَّسَتْ بِهَؤُلَاءِ الْقِدِّيسِينَ الْأَرْبَعَةِ عليهم السلام.

الْاِنْتِقَامُ مِنَ الْأَمِيرَةِ الْمُقَدَّسَةِ

وإِذْ حَالَتِ الأَقْدَارُ بِمَمَاتِهَا فِي حَيَاةِ الإِمَامِ العَسْكَرِيِّ عليه السلام فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَطَالَهَا الظَّالِمُونَ فِي زَمَانِ حياتِها بِأَذًى، إِلَّا أَنَّ الحِقْدَ المُتَوَارَثَ لِأَبْنَاءِ الطُّغَاةِ النَّوَاصِبِ، وَالَّذِي عَشَّشَ وَلَا زَالَ فِي صُدُورِهِم وبيُوتِهِم جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ، أَخَذَ يُطَارِدُهَا حَتَّى بَعْدَ وَفَاتِهَا، يَرُومُ الإِنْتِقَامَ، فِامْتَدَّتْ يَدُ الإِجْرَامِ التَّكْفِيرِيِّ فِي صَبِيحَةِ الأَرْبِعَاءِ يَوْمَ ٢٢ فِبْرَايَرْ سَنَةَ ٢٠٠٦ مِيلَادِيَّةٍ، بِوَضْعِ مِئَاتِ الكِيلُوغْرَامَاتِ مِنَ المَتَفَجِّرَاتِ تَحْتَ قُبَّةِ الضَّرِيحِ المُقَدَّسِ وفَجَّرُوهَا مِمَّا أَدَّى إِلَى انْهِيَارِ القُبَّةِ المُشَرَّفَةِ، وتَطايُرِ شَظَايَا بَقَايَاهَا إِلَى شُعَاعِ الكِيلُومِتْرِ مِنْ مَحَلِّ الإِنْفِجَارِ، وَأَذِنَتْ هَذِهِ الجَرِيمَةُ الكُبْرَى بِمَرْحَلَةٍ جَدِيدَةٍ

قَاسِيَةٍ جِدّاً فِي تَارِيخِ العِرَاقِ الـمُعَاصِرِ، لَا زَالَتْ تَرَاكُمَاتُ وَارْتِدَادَاتُ تِلْكَ الـحَادِثَةِ إِلَى يَوْمِنَا الـحَاضِرِ.

ابْنُ الأَمِيرَةِ

أَمَّا ابْنُ الأَمِيرَةِ الْـمُقَدَّسَةِ الإِمَامُ الْـمَهْدِيُّ عَجَّلَ اللهُ فَرَجَهُ الشَّرِيفَ، فَبَقِيَ مِنْ بَعْدِ وَالِدَتِهِ يَشُبُّ وَيَتَرَعْرَعُ سَرِيعاً، وَرُزِقَ الْفِطْنَةَ والْعِلْمَ والـحُكمَ صَغِيرًا كَمَا رُزِقَ الْـمَسِيحُ وَيَحْيَى عليهما السلام ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْـحُكْمَ صَبِيًّا﴾[1]، وَأَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى كَمَا أَمَرَ العَبْدَ الصَّالِحَ الـخَضِرَ بِكَتْمِ شَخْصِهِ، وَعَدَمِ إِشْهَارِ نَفْسِهِ إِلَى حِينِ اليَوْمِ الـمَوْعُودِ، وَلَمَّا كَانَ الرَّبُّ قَدِ ادَّخَرَهُ لِتَخْلِيصِ الأُمَمِ وَلِيَكُونَ البِشَارَةَ لِكُلِّ العَالَمِينَ، فَقَدْ أَطَالَ اللهُ فِي عُمْرِهِ[2]

---

(١) سورة مريم الآية ١٢.

(٢) يقول الفيلسوف الإيرلندي برنارد شو في مواصفات المخلص آخر الزمان وعن ضرورة أن يكون عمره طويلاً:
إنّه إنسان حي ذو بنية جسدية صحيحة وطاقة عقلية خارقة، إنسان أعلى يترقى إليه هذا الإنسان الأدنى بعد جهد طويل، وإنّه يطول عمره حتى ينيف على ثلاثمئة سنة، ويستطع أن ينتفع بما استجمعه من أطوار العصور وما استجمعه من أطوار حياته الطويلة. انتهى. من كتابه «الإنسان السوبرمان» نقلاً عن كتاب «على هامش بشارات الأديان بالمهدي الإمامي»

كَمَا صَنَعَ مَعَ نُوحٍ عليه السلام ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً﴾[1] بَلْ وَأَكْثَرَ[2]، وَكَمَا طُوِّلَ فِي حَيَاةِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ الْخَضِرِ عليه السلام وَالَّذِي هُوَ حَيٌّ مِنْ قَبْلِ زَمَنِ نَبِيِّ اللهِ مُوسَى عليه السلام إِلَى يَوْمِنَا الْحَاضِرِ، إِذِ الْتَقَاهُ وَطَلَبَ مِنْهُ الرُّفْقَةَ ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً، قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً، وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً، قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً، قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرا..﴾[3]، مِمَّا يَعْنِي أَنَّ عُمْرَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ الْخَضِرِ قَدْ تَجَاوَزَ ٤٠٠٠ سَنَةٍ، وَكَمَا فِي الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ جُعِلَ أَنِيساً وَرَفِيقاً لِلْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ عجَّلَ اللهُ فَرَجَهُ الشَّرِيفَ.

نقلاً عن كتاب برناردشو للأستاذ عباس محمود العقاد ص١٢٤.

(١) سورة العنكبوت آية ١٤.

(٢) في بعض الروايات عاش نوح عليه السلام بعد الطوفان خمسمائة سنة. الكافي ج٨ ص٢٨٥ حديث ٤٣٠.

(٣) سورة الكهف آية ٦٥- ٦٩.

الـمُخلِّصان

وَسَـيَلْتَقِي الـمُخَلِّصُ الـمَوْعُودُ عجل الله فرجه -ابْـنُ الأَمِـيرَةِ الْـمُقَدَّسَةِ- فِي آخِـرِ الزَّمَـانِ مَعَ الْـمَسِيحِ عِيسَـى بنِ مَرْيَـمَ عليه السلام، فَيَرْكَـعُ الـمَسِيحُ بِرُكُوعِـهِ وَيَسْـجُدُ بِسُـجُودِهِ، فَيُصَلِّيَـانِ مَعًـا وَيَتَّحِـدَانِ مَعـاً، وَيُخَلِّصَـانِ الْبَـشَرَ وَجَمِيـعَ الْـخَلْقِ، مِـنَ الـشُّرُورِ وَالفَسَـادِ وَالأَحْقَـادِ، وَتَسُـودُ الْعَدَالَـةُ وَيَعُـمُّ الـخَيْرُ جَمِيـعَ أَنْحَـاءِ الـمَعْمُورَةِ، لِيَأْذَنَـا بِعَـالَمٍ جَدِيـدٍ عَـلَى الْكُـرَةِ الأَرْضِيَّـةِ.

[٢٨ لأنَ الـرَّبَ يُحِـبُ الـحَقَ، وَلَا يَتَخَلَى عَـنْ أَتْقِيَائِهِ، إِلَى الأَبَـدِ يُحفَظُـونَ، أَمَّـا نَسْـلُ الأَشْرَارِ فَيَنْقَطِـعُ ٢٩ الصِّدِّيقُـونَ يَرِثُـونَ الأَرْضَ وَيَسْـكِنُونَهَا إِلى الأَبَـدِ][1]

إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً..

وَأَفْضَلُ العِبَادَةِ اِنْتِظَارُ الفَرَجِ...

«اللهُـمَ كُـنْ لِوَلِيِّـكَ الـحُجَّةِ بـنِ الـحَسَنِ، صَلَوَاتُـكَ عَلَيْـهِ وَعَـلَى آبَائِـهِ، فِي هَـذِهِ السَّـاعَةِ وَفِي كُلِّ سَـاعَةٍ، وَلِيّـاً وَحَافِظـاً، وَقَائِـداً وَنَـاصِراً، وَدَلِيـلاً وَعَيْنـاً، حَتَّـى تُسْـكِنَهُ

(١) المزمور ٣٧.

أَرْضَـكَ طَوْعـاً، وَتُمَتِّعَـهُ فِيهَـا طَوِيـلاً، وَهَـبْ لَنَـا رَأْفَتَـهُ وَرَحْمَتَـهُ، وَعَوْنَـهُ وَدُعَـاءَهُ وَخَـيْرَهُ، مَـا نَنَـالُ بِـهِ سَـعَةً مِـنْ فَضْلِـكَ وَفَـوْزاً عَنْـدَكَ يَـا كَرِيـمُ، بِرَحْمَتِـكَ يَـا أَرْحَـمَ الرَّاحِمِـينَ».

تم وبحمد الله تعالى وفضله الكريم الانتهاء من تحريره وتصحيحه، في مولد سيد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه السلام سنة ١٤٣٨هـ ق / ٣٠-٤-٢٠١٧ م في الحائر الحسيني الشريف.

خادمه الاقل / حسين المرهون

الملحق (١)

رُؤْيَا أُمَّهَاتِ الـمَعْصُومِينَ وَغَيْرِهِنَّ

مِـن التَخَـرُّصِ وَسُـخْفِ القَـولِ الـمُسَاوَاةُ بَـينَ رُؤيَـا أمَّهَـاتِ الَـمَعْصُومِينَ عليهـن السـلام وَمَـن يَقُـومُ مَقَامَهـم وَبَـين النَّـاسِ العَادِيـين، وَأَنَّـهُ مِـنْ الـمُهم بِمَـكَان التَّشْـدِيد عـلى ضَّرُورَة ولَا بُدِيَّـة التَّفْرِيـقِ بَـيْنَ رُؤْيَـا أُمَّهَـاتِ الـمَعصُومِينَ وَبَينَ أَحْـلَامِ غَيْرِهِنَّ إِذْ لَا يُمْكِنُ الـمُقَارَنَة، فإِنَّ رُؤْيَـا أُمَّهَـاتِ الأَنْبِيَـاءِ وَالأَوْصِيَـاءِ كَفَلَـقِ الفَجْـرِ لَا تَتَخَلَّـفُ فِي العَـادَةِ، وَهِـيَ فِي مَقَـامِ الوَحْـيِ الرَّبَّـانِيِّ، وَلِرُؤْيَـا الأَمِـيرَةِ الـمُقَدَّسَةِ بِالـذَّاتِ خُصُوصِيَّـةٌ فَرِيـدَةٌ، إذ تَسَـاوَقَ عَـالَمُ اليَقَظَـةِ وعَـالَمَ الـمَنَامِ فَي نَسْـجِ قِصَّـةَ خَلاصِهـا، فمَهَّـدَتْ لَهَـا انْتِفَاضَـةُ الأَرْضِ واهْتِزَازُهَـا حِـينَ مِهْرَجـانِ الزِفَـافِ فِي مَمْلَكَـةِ جَدِّهَـا فقَلَبَـتْ مَوَازِيـنَ قَيْـصَر الـرُّومِ وَبَعْثَـرَتْ مَـا كَانَ قَـد خَطَّـطَ لَـهُ مُسْـبَقاً، وَرَسَـمَت الرؤيـا لَهَـا خَارِطَـةَ طَرِيـقِ إِنْقَاذِهَـا، فَـكُلُّ مَـا رَأَتْـهُ جَـرَى حَقِيقَـةً، نَاهِيـكَ عَن اسْـتِمْرَارِ تِلْـكَ الأَحْـلَامَ لِلَيَـالٍ مُتَمَادِيَـةٍ مُتَكَثِّـرَةٍ ولِسِـنِينَ، فَهَـذَا غـير

مُتَحَصِّلٍ لِكُلِّ أَحَدٍ، فَضْلاً عَنْ إِخْبَارِ إِمَامَيْنِ مَعْصُومَيْنِ لَهَا عَنْ تَفَاصِيلِ تِلْكَ الرُّؤْيَا، وَإِقْرَارِهِمَا لَهَا، فَهَذَا يُضْفِي حُجِّيَّةً شَرْعِيَّةً لِخُصُوصِ رُؤْيَاهَا.

هَذَا كُلُّهُ كَيْ يُقْفَلَ البَابُ عَلَى الدَّجَّالِينَ أَدْعِيَاء الْمَهْدَوِيَّةِ وَأَرْبَابِ الشَّيَاطِينِ، الَّذِينَ رَوَّجُوا لِدَجَلِهِم عَنْ طَرِيقِ بَعْضِ الأَحْلَامِ، فَلَعَمْرِي كلٌ منهم يُحَارِبُ الآخَرَ وَدَلِيلُهُم هُوَ الأَحْلاَمُ البَاطِلَةِ وَأَشْبَاحُ الشَّيَاطِينِ، فَكَيْفَ أَصْبَحَتْ تِلْكَ المَنَامَاتُ دَلِيلاً قَائِماً بِذَاتِهِ وَكُلٌ مِنْهَا يَنْقُضُ الآخَرَ وَيُحَارِبُهُ، فَأَدَلُّ دَلِيلٍ عَلَى كَذِبِ المُدَّعِينَ هُوَ تَعَارُكُ شَيَاطِينِ المَنَامَاتِ عَلَى ضَحَايَاهُم، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَدَّعِي شَيْطَانُهُ أَنَّ صَاحِبَهُ هُوَ المَهْدِيُّ أَوْ بَابُه، وَكُلُ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلاَءِ يُكَذِّبُ الآخَرَ، فَنُصَدِّقُ مَنْ؟! وَنُكَذِّبُ مَنْ؟!.

فَضْلاً عَنْ أَنَّ الأَتْقِيَاءَ مِن أَهْلِ الدِّينِ وَالوَرَعِ لَهُم أَيْضاً أَحْلاَمُهُمُ الَّتِي تُكَذِّبُ أُولَئِكَ الأَدْعِيَاءَ كُلَّهُم جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً، وَلِذَا هُنَاكَ خَيْطٌ دَقِيقٌ بَيْنَ أَضْغَاثِ الشَّيْطَانِ وَوَسْوَسَتِهِ، وَبَيْنَ الرُّؤْيَا مِنَ الرَّحْمَنِ وَوَحْيِهِ، وَمَنْ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ قَدْ تَفْتَرِسُهُ شَيَاطِينُ المُدَّعِينَ الكَذَبَةِ،

فَالخَيْطُ الدَّقِيقُ أَنَّ الرُّؤْيَا الحَقَّةَ تَنْسَجِمُ وَتَعَالِيمِ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ لَا تُخَالِفُهَا وَلَا تُغَايِرُهَا، بَلْ تَكُونُ مُصَدِّقَةً لَهَا وَكَاشِفَةً عَنْهَا، وَلَا تَعْتَمِدُ عَلَى النُّصُوصِ المُتَشَابِهَاتِ المُضَادَّةِ لِمُحْكَمَاتِ الدِّينِ، وَلَا تَأْتِي بِشُذُوذٍ أَوْ شَاذِّينَ لَا يُعْرَفُ لَهُمْ أَصْلٌ أَوْ مَاضٍ.

كَمَا تُكْفَأُ السُّفُنُ

وَمِنْ هُنَا حَذَارِ مِنْ حَرَكَاتِ أَدْعِيَاءِ المَهْدَوِيَّةِ وَالَّتِي حَذَّرَتْ مِنْهَا الكُتُبُ السَّمَاوِيَّةُ، رُوِيَ عَنِ الإِمَامِ الصَّادِقِ عليه السلام فِي الحَدِيثِ عَنْ وَلَدِهِ الإِمَامِ المَهْدِيِّ عليه السلام:

(وَلَتَدْمَعَنَّ عَلَيْهِ عُيُونُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَتُكْفَؤُنَّ كَمَا تُكْفَأُ السُّفُنُ فِي أَمْوَاجِ الْبَحْرِ، فَلَا يَنْجُو إِلَّا مَنْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَهُ، وَكَتَبَ فِي قَلْبِهِ الْإِيمَانَ، وَأَيَّدَهُ بِرُوحٍ مِنْهُ، وَلَتُرْفَعَنَّ اثْنَتَا عَشْرَةَ رَايَةً مُشْتَبِهَةً، لَا يُدْرَى أَيٌّ مِنْ أَيٍّ، قَالَ: فَبَكَيْتُ ثُمَّ قُلْتُ: فَكَيْفَ نَصْنَعُ؟ قَالَ: فَنَظَرَ إِلَى شَمْسٍ دَاخِلَةٍ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ تَرَى هَذِهِ

الشَّمْسَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ فَقَالَ: وَاللهِ لَأَمْرُنَا أَبْيَنُ مِنْ هَذِهِ الشَّمْسِ).[1]

اجتمعنا على رجل

وَقَدْ أَعْطَى أَئِمَّةُ أَهْلِ البَيْتِ عليهم السلام خَارِطَةَ طَرِيقٍ لَا يَتِيهُ فِيهَا أَحَدٌ مِنْ شِيعَتِهِم مِمَّنْ لَهُ عَقْلٌ وَفَهْمٌ وَمَعْرِفَةٌ، أَعْطَوْهُم عَلَامَاتٍ مُتَعَدِّدَةً، مِنْهَا التي يَعْرِفُهَا الذِّينَ هُمْ حُجَّةٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الإِمَامِ عَجَّلَ اللهُ فَرَجَهُ (**وَأَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ فَارْجِعُوا فِيهَا إلى رُوَاةِ حَدِيثِنَا**[2] **فَإِنَّهُمْ حُجَّتِي عَلَيْكُمْ وَأَنَا حُجَّةُ اللهِ عَلَيْهِمْ**)[3]، والذينَ هُمُ اليوم مَرَاجِعُ الدِّينِ وَنُوَّابُ الإِمَامِ المَهْدِيِّ عَجَّلَ اللهُ فَرَجَهُ، صَمَامُ أَمَانِ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ، فَإِنِ «**اجْتَمَعُوا**» عَلَى شَخْصٍ أَنَّهُ هُوَ الإِمَامُ المَهْدِيُّ عَجَّلَ اللهُ فَرَجَهُ فَذَاكَ هُوَ، فَفِي

---

(١) الكافي للشيخ الكليني، ج١، ص٣٣٦، ح٣.

(٢) والمراد برواة الحديث الفقهاء الذين يفقهون الحديث ويعلمون خاصه وعامه محكمه ومتشابهه؛ ويعرفون صحيحه من سقيمه، وحسنه من مختلقه، والذين لهم قوة التفكيك بين الصريح منه والدخيل وتمييز الأصيل من المزيف المتقول لا الذين يقرؤون الكتب المعروفة ويحفظون ظاهراً من ألفاظها ولا يفهمون معناه وليس لهم منة الاستنباط وإن زعموا أنهم حملة الحديث. - من محقق نسخة كمال الدين الشيخ علي أكبر غفاري (رحمه الله تعالى) -.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص٤٨٤.

الرِّوَايَةِ عَنِ الإِمَامِ الصَّادِقِ عليه السلام: (فَإِذَا رَأَيْتُمُونَا قَدِ اجْتَمَعْنَا عَلَى رَجُلٍ فَانْهَدُوا[1] إِلَيْنَا بِالسِّلاَحِ)[2] أَمَّا مَا دُونَ هَذَا -الاجْتِمَاعِ- مِنْ كِبَارِ الطَّائِفَةِ الحَقَّةِ، فَمَا لَكَ وَلِلْاِسْتِعْجَالِ، فَفِيهِ قَدْ يَكُونُ هَلاَكُكَ مِنْ حَيْثُ أَرَدْتَ النَّجَاةَ، وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ لَا اثْنَتَانِ تُجَرِّبُ الأُولَى وَتَتَّعِظُ عِنْدَ الثَّانِيَةِ !

فَالرُّوحُ وَاحِدَةٌ غَيْرُ قَابِلَةٍ لِلتَّجْرِبَةِ، فَإِنْ تَلِفَتْ فِي غَيْرِ الجَادَّةِ الحَقَّةِ فَهُوَ شَقَاءُ الأَبَدِ، الَّذِي لَا يَنْفَعُ مَعَهُ عُذْرٌ وَنَدَمٌ، فَعَنْ أَبِي الْمُرْهِفِ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: (هَلَكَتِ الْمَحَاضِيرُ قَالَ: قُلْتُ: وَمَا الْمَحَاضِيرُ؟ قَالَ: الْمُسْتَعْجِلُونَ، وَنَجَا الْمُقَرِّبُونَ، وَثَبَتَ الْحِصْنُ عَلَى أَوْتَادِهَا)[3].

(١) انهدوا: أي انهضوا إلينا بالسلاح.

(٢) غيبة النعماني ص٢٠٣.

(٣) غيبة النعماني ص ٢٠٣.

الملحق (٢)

أولاً / من كَرَاماتِ الأَميرةِ الـمُقدَّسة

يَنقـلُ الشَّـهيدُ دستغيب عـنِ الـمرحومِ آيـةِ اللهِ العُظمَى الشـيخِ عبدِ الكريـمِ الـحَـائِرِيِّ مُؤَسِّـسِ الـحَوْزَةِ العِلْمِيَّةِ فِي قُـمِ الـمُقَدَّسَة:

عِندَمـا كُنـتُ أَدْرُسُ فِي سَـامَرَّاءَ ابْتُـلِيَ أَهَـالِي سَـامَرَّاءَ بوَبَـاءِ الطَّاعُـونِ، وَكَانَ يمـوتُ فِي كلِّ يـومٍ العـشراتُ مـن النـاسِ.

ذاتَ يـومٍ كُنْـتُ فِي مَنْـزِلِ أُسـتاذِيَ الـمرحومُ السَّـيِّدُ مُحَمَّـد فَشَـاركي، وَقَـدِ اجْتَمَـعَ عِـدَّةٌ مِـنْ أَهْـلِ العِلْـمِ، وَفَجْـأَةً شَرَّفَ الـمَرْحُومُ الـمَرْجِعُ الـمِيرْزَا محمـد تقـي الشـيرازي، وجَـرَى الـحَديثُ عـنْ مَـرَضِ الوَبَـاءِ، وأنَّ جميـعَ النَّـاسِ مُعَرَّضُـونَ لِلْخَطَـرِ.

قـالَ الـمرحومُ الـمِيرْزَا: إِذَا حَكَمْـتُ بِحُكْـمٍ فَهَلْ يَجِبُ تَنْفِيـذُهُ أَمْ لَا؟.. قـالَ جميـعُ أهـلِ الـمجلسِ: نعمْ يَجِـبُ، فقالَ

الـمِيرْزَا الشيرازي: أنا أَحْكُمُ أَنْ يَقْرَأَ الشِّيعَةُ السَّاكِنُونَ في سَامَرَّاءَ مِنَ اليومِ وحتَّى عَشَرَةِ أَيَّامٍ زيارةَ عاشوراءَ، وَيُهْدُونَ ثَوابَ ذَلك إلى رُوحِ السَّيدةِ نَرْجِسَ - أيِ الأَمِيرةِ الـمُقَدَّسَةِ عليها السلام - وَالدةِ الإمامِ الـحُجَّةِ بنِ الـحسنِ عجل الله فرجه، لِيَرْتَفِعَ البَلاءُ عَنْهُم..

أَبْلَغَ أهلُ الـمَجْلِسِ هَذَا الـحُكْمَ إِلَى جميعِ الشِّيعةِ، وَبدأَ الـجَميعُ بِقراءَةِ زِيارةِ عَاشوراءَ.

وما انْتَهَتِ العَشَرَةُ أيامٍ حتَّى ارْتَفَعَ الطَّاعونُ عن الشِّيعةِ و لمْ يَمُتْ مِنْهُمْ أحدٌ بِسَبَبِ الوَبَاءِ، وتوقَّفَ ذلكَ كُلِّيّاً، بَيْنَمَا كانَ الطَّاعُونُ يَفْتِكُ بالآخرين في سَامَرَّاءَ و لمْ يتوقفْ فِيهِمْ، فكانَ يموتُ في كلِّ يومٍ عددٌ مِنْهُمْ، ومِن خَجَلِهِمْ كَانُوا ينتظرون اللَّيْلَ لِيَدْفِنُوا مَوتاهُم، فسألَ بعضهم أصدقاءَهُمُ من الشِّيعةَ عنْ سَبَبِ ارْتِفَاعِ البَلاءِ عنِ الشِّيعةِ، فقالوا: إِنَّ مَرجِعَنَا الـمِيرْزَا مُحَمَّد تَقِي الشِّيرَازِي أَصْدَرَ حُكماً شَرعياً يَأمُرُنَا فيهِ بقراءةِ زيارةِ عاشوراءَ مدةَ عَشَرَةِ أيامٍ ونُهْدِي ثَوابَهَا لِوَالِدَةِ مَولانا الإمامِ صَاحِبِ العَصْرِ والزَّمَانِ عجل الله فرجه الشريف وذلكَ بِنِيَّةِ ارْتِفَاعِ البَلَاءِ، و فِعْلاً بَدأَ الآخرون بِقِرَاءَتِهَا،

فِارْتَفَعَ عَنْهُمُ الطَّاعُونُ.[1]

يُضِيفُ الشهيدُ دستغيب: لا شكَّ أنَّ مَقَامَ الميرزَا الشيرازي أجَلُّ منْ أَنْ يَقُولَ شَيئاً مِن عِنْدِهِ، وحيثُ أَنَّ هَذَا التَّوَسُّلَ (أيْ قِرَاءَة زَيَارَةِ عَاشُورَاءَ لُمِدَّةِ عَشَرَةِ أَيَّامٍ) لَمْ يَرِدْ فِي رِوَايَةٍ، فَلَعَلَّهُ أَصْدَرَ ذلكَ الحُكمَ إِثْرَ رُؤْيَا صادِقَةٍ، أو مُكَاشَفَةٍ، أو رُؤيةِ الإمامِ المَهْدِيِّ (عجل الله فرجه)، وَقَدْ ثَبتَ صِدْقُ تَأثِيرِهِ.

ثانياً / كَيْفِيَّةُ التَّوَسُّلِ لِلَّهِ تَعَالى بِهَا عَنْ طَرِيقِ زِيَارَةِ عَاشُورَاء

الأَفضلُ في كلِّ يومٍ إما في الثلث الأخير من الليل أو بعدَ صلاةِ الصُّبحِ، ولِمُدةِ عَشَرَةِ أَيَّامٍ، وإلا لمدةِ أربعينَ يوماً، وإنْ كانَ فِي حَرَمٍ مُقدَّسٍ مِنْ مَشَاهِدِ المَعْصُومِينَ أَوْ أولادِهِم عليهم السلام فَهُوَ الأَفْضَلُ، وإلا في المسجدِ أوالحسينية أو مكانِ مُصَلَّى الإنسانِ، بالكَيْفِيَّةِ الأتية وبالترتيب المذكور، وكُلُّ العَمَلِ تُهدِي ثَوَابَهُ لِوالدةِ الإمامِ الحُجَّةِ الأميرةِ المُقَدَّسَةِ عليها السلام:

(١) - قصص و خواطر - المهتدي البحراني -

١- قِراءَةُ زيارةِ أمينِ اللهِ بِقَصْدِ زِيَارَةِ أميرِ المُؤمنينَ عليه السلام.[١]

٢- صلاةُ رَكْعَتَي الزِّيارة.

٣- ثُم الإيماءَةُ بِزيارة الامام الحسين عليه السلام.

٤- ثم التكبيرُ ١٠٠ مرة.

٥- ثم الشُّروعُ في زيارةِ عاشوراءَ المَشْهُورَةِ.[٢]

٦- ثم السُّجُودُ فِي آخِرِ الزِّيَارَةِ.

٧- وبَعدَهَا تُصَلِّي رَكْعَتَي الزيارة.

٨ - ومن ثَمَّ تقْرَأُ دُعاءُ عَلْقَمَة.

وجميعُ هذهِ الأعمالِ موجودةٌ فِي كِتابِ مِفاتيحِ الجنانِ وضِياءِ الصَّالِحين.

---

(١) زيارة أمين الله، تجدها في كتاب مفاتيح الجنان في باب زيارات أمير المؤمنين عليه السلام، الزيارة الثانية، وهي من أصحهن متنا وسندا.

(٢) قال الشيخ عباس القمي في كتابه المعروف بـ مفاتيح الجنان:
وقال شيخنا ثقة الإسلام النوري ـ رحمه الله ـ: أما زيارة عاشوراء فكفاها فضلاً وشرفاً أنها لا تسانخ سائر الزيارات التي هي من إنشاء المعصوم وإملائه في ظاهر الأمر، وإن كان لا يبرز من قلوبهم الطاهرة إلا ما يبلغها من المبدأ الأعلى، بل تسانخ الأحاديث القدسية التي أوحى الله ـ جلت عظمته ـ بها إلى جبرائيل بنصها بما فيها من اللعن والسلام والدعاء فأبلغها جبرائيل إلى خاتم النبيين صلى الله عليه وآله.

الملحق (٣)

في كَيْفِيَّةِ زِيَارَتِهَا الشَّرِيفَةِ عليها السلام

قَدْ وَرَدَ فِي زِيَارَتِهَا مَا يَدُلُّ عَلَى عُلُوِّ شَأْنِهَا ما أورَدَهُ صَاحِبُ المَزَارِ الكَبِيرِ، كَمَا يَنْقُلُ عنهُ الشيخُ المَجْلِسِيُّ رِضْوَانُ اللهِ تَعالى عليه من أَنَّكَ تَقولُ في زِيَارَتِهَا:

السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ الصَّادِقِ الْأَمِينِ، السَّلَامُ عَلَى مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، السَّلَامُ عَلَى الْأَئِمَّةِ الطَّاهِرِينَ الْحُجَجِ الْمَيَامِينِ، السَّلَامُ عَلَى وَالِدَةِ الْإِمَامِ وَالْمُودَعَةِ أَسْرَارَ الْمَلِكِ الْعَلَّامِ، وَالْحَامِلَةِ لِأَشْرَفِ الْأَنَامِ، السَّلَامُ عَلَيْكِ أَيَّتُهَا الصِّدِّيقَةُ الْمَرْضِيَّةُ، السَّلَامُ عَلَيْكِ يَا شَبِيهَةَ أُمِّ مُوسَى وَابْنَةَ حَوَارِيِّ عِيسَى، السَّلَامُ عَلَيْكِ أَيَّتُهَا التَّقِيَّةُ النَّقِيَّةُ، السَّلَامُ عَلَيْكِ أَيَّتُهَا الرَّضِيَّةُ الْمَرْضِيَّةُ.

السَّلَامُ عَلَيْكِ أَيَّتُهَا الْمَنْعُوتَةُ فِي الْإِنْجِيلِ، الْمَخْطُوبَةُ مِنْ رَوْحِ اللهِ الْأَمِينِ، وَمَنْ رَغِبَ فِي وُصْلَتِهَا مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، وَالْمُسْتَوْدَعَةُ أَسْرَارَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكِ وَعَلَى آبَائِكِ الْحَوَارِيِّينَ، السَّلَامُ عَلَيْكِ وَعَلَى بَعْلِكِ وَوَلَدِكِ، السَّلَامُ عَلَيْكِ وَعَلَى رُوحِكِ وَبَدَنِكِ الطَّاهِرِ.

أَشْهَدُ أَنَّكِ أَحْسَنْتِ الْكَفَالَةَ وَأَدَّيْتِ الْأَمَانَةَ، وَاجْتَهَدْتِ فِي مَرْضَاةِ اللهِ، وَصَبَرْتِ فِي ذَاتِ اللهِ، وَحَفِظْتِ سِرَّ اللهِ، وَحَمَلْتِ وَلِيَّ اللهِ، وَبَالَغْتِ فِي حِفْظِ حُجَّةِ اللهِ، وَرَغِبْتِ فِي وُصْلَةِ أَبْنَاءِ رَسُولِ اللهِ، عَارِفَةً بِحَقِّهِم، مُؤْمِنَةً بِصِدْقِهِم، مُعْتَرِفَةً بِمَنْزِلَتِهِم، مُسْتَبْصِرَةً بِأَمْرِهِم، مُشْفِقَةً عَلَيْهِم، مُؤْثِرَةً هَوَاهُم.

وَ أَشْهَدُ أَنَّكِ مَضَيْتِ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِكِ، مُقْتَدِيَةً بِالصَّالِحِينَ، رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، تَقِيَّةً نَقِيَّةً زَكِيَّةً، فَرَضِيَ اللهُ عَنْكِ وَأَرْضَاكِ، وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مَنْزِلَكِ وَمَأْوَاكِ، فَلَقَدْ أَوْلَاكِ مِنَ الْخَيْرَاتِ مَا أَوْلَاكِ، وَأَعْطَاكِ مِنَ الشَّرَفِ مَا بِهِ أَغْنَاكِ، فَهَنَّأَكِ اللهُ بِمَا مَنَحَكِ مِنَ

الْكَرَامَـةِ وَأَمْـرَأَكِ.

ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ وَتَقُولُ:

اللهُـمَّ إِيَّـاكَ اعْتَمَـدْتُ، وَرِضَـاكَ طَلَبْـتُ، وَبِأَوْلِيَائِـكَ إِلَيْـكَ تَوَسَّـلْتُ، وَعَـلَى غُفْرَانِـكَ وَحِلْمِـكَ اتَّكَلْـتُ، وَبِـكَ اعْتَصَمْـتُ، وَبِقَـبْرِ أُمِّ وَلِيِّـكَ لُـذْتُ، فَصَـلِّ عَـلَى مُحَمَّـدٍ وَآلِ مُحَمَّـدٍ وَانْفَعْنِـي بِزِيَارَتِهَـا، وَثَبِّتْنِـي عَـلَى مَحَبَّتِهَـا، وَلَا تَحْرِمْنِـي شَـفَاعَتَهَا وَشَـفَاعَةَ وَلَدِهَـا، عَجَّـلَ اللهُ فَرَجَـهُ، وَارْزُقْنِـي مُرَافَقَتَهَـا، وَاحْشُرْنِي مَعَهَـا وَمَـعَ وَلَدِهَـا، كَـمَا وَفَّقْتَنِـي لِزِيَـارَةِ وَلَدِهَـا وَزِيَارَتِهَـا.

اللهُـمَّ إِنِّي أَتَوَجَّـهُ إِلَيْـكَ بِالْأَئِمَّـةِ الطَّاهِرِيـنَ وَأَتَوَسَّـلُ إِلَيْـكَ بِالْحُجَـجِ الْـمَيَامِينِ، مِـنْ آلِ طـه وَيـس، أَنْ تُصَـلِّيَ عَـلَى مُحَمَّـدٍ وَآلِـهِ الطَّيِّبِـينَ، وَأَنْ تَجْعَلَنِـي مِـنَ الْـمُطْمَئِنِّينَ الْفَائِزِيـنَ، الْفَرِحِـينَ الْـمُسْتَبْشِرِينَ، الَّذِيـنَ لا خَـوْفٌ عَلَيْهِـم وَلا هُـم يَحْزَنُـونَ، وَاجْعَلْنِـي مِمَّـنْ قَبِلْـتَ سَـعْيَهُ، وَيَـسَّرْتَ أَمْـرَهُ، وَكَشَـفْتَ ضُرَّهُ وَآمَنْـتَ خَوْفَـهُ.

اللهُـمَّ بِحَـقِّ مُحَمَّـدٍ وَآلِ مُحَمَّـدٍ صَـلِّ عَـلَى مُحَمَّـدٍ وَآلِ مُحَمَّـدٍ، وَلَا تَجْعَلْـهُ آخِـرَ الْعَهْـدِ مِـنْ زِيَـارَتِي إِيَّاهَـا،

وَارْزُقْنِي الْعَوْدَ إِلَيْهَا أَبَداً مَا أَبْقَيْتَنِي، وَإِذَا تَوَفَّيْتَنِي فَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَتِهَا، وَأَدْخِلْنِي فِي شَفَاعَةِ وَلَدِهَا وَشَفَاعَتِهَا، وَاغْفِرْ لِي وَلِوالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ، وَآتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذابَ النَّارِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا سَادَاتِي وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ[1].

(١) مصباح الزائر، السيد ابن طاووس، ص ٢١٤.
المزار، ابن المشهدي، ص٦٦٠، ب٣.
المزار، الشهيد الأول، ص٢١١.

فهرس المصادر

١. القرآن الكريم.

٢. إثبات الوصية، المسعودي.

٣. الاحتجاج، الشيخ الطبرسي (ت٥٤٨)، تعليق السيد الخرسان، دار النعمان للطباعة، النجف الأشرف، ١٣٨٦ هـ.

٤. الإرشاد، الشيخ المفيد (ت٤١٣)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، دار المفيد للطباعة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.

٥. أعلام الورى بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسي (ت٥٤٨)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.

٦. الأمالي، الشيخ الصدوق (ت٣٨١)، مؤسسة البعثة، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.

٧. بحار الأنوار، العلامة المجلسي (ت١١١١)، تحقيق الخرسان والميانجي والمحمودي، دار إحياء

التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ هـ.

٨. البداية والنهاية، ابن كثير (ت٧٧٤)، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.

٩. بصائر الدرجات، الشيخ الصفار (ت٢٩٠)، تصحيح وتعليق الميرزا حسن كوجه باغي، منشورات الأعلمي، طهران، ١٤٠٤ هـ.

١٠. دلائل الامامة، ابن جرير الطبري (ق٤)، مؤسسة البعثة، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.

١١. روضة الواعظين، الفتال النيسابوري (ت٥٠٨)، تقديم السيد الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة.

١٢. شمعون الصفا، الشيخ علي الكوراني (معاصر).

١٣. جامع أحاديث الشيعة، إشراف السيد حسين البروجردي (ت١٣٨٣)، قم المقدسة، المطبعة العلمية، ١٣٩٩ هـ.

١٤. عيون المعجزات، محمد بن عبد الوهاب (ق٥)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٦٩ هـ.

١٥. الغيبة، الشيخ النعماني (ت٣٨٠)، تحقيق فارس

حسون، منشورات أنوار الهدى، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.

١٦. الغيبة، الطوسي (ت٤٦٠)، تحقيق عباد الله الطهراني وعلي ناصح، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

١٧. قصة الحضارة، ول ديورانت.

١٨. قصص وخواطر، الشيخ المهتدي البحراني (معاصر).

١٩. الكافي، الشيخ الكليني (ت٣٢٩)، تحقيق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الخامسة، ١٣٦٣ هـ ش.

٢٠. كامل الزيارات، ابن قولويه القمي (ت٣٦٨)، تحقيق جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.

٢١. كشف الغمة في معرفة الأئمة، العلامة الاربلي (ت٦٩٣)، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ.

٢٢. كفاية الأثر، الخزاز القمي (ق٤)، تحقيق عبداللطيف الخوئي، انتشارات بيدار، قم

المقدسة، ١٤٠١هـ.

٢٣. كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، الشيخ الصدوق (ت٣٨١)، تحقيق علي اكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، ١٤٠٥ هـ.

٢٤. اللهوف على قتلى الطفوف، السيد ابن طاووس الحلي (ت٦٦٤)، أنوار الهدى، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.

٢٥. مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني (ت١١٠٧)، تحقيق عزة الله الهمداني، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.

٢٦. المزار، الشهيد الأول (ت٧٨٦)، تحقيق مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام)، بإشراف السيد الأبطحي، الناشر مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام)، قم المقدسة، ١٤١٠ هـ.

٢٧. المزار، ابن المشهدي (ق٦)، تحقيق جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٢٨. مستدرك الوسائل، النوري الطبرسي (ت١٣٢٠)،

تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.

٢٩. مصباح الزائر، السيد ابن طاووس الحلي (ت٦٦٤)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ

٣٠. مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي (ت٤٦٠)، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.

٣١. مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي (ت١٣٥٩)، تعريب محمد رضا النجفي، مكتبة العزيزي، قم المقدسة، الطبعة الثالثة، ١٣٨٥ هـ ش.

٣٢. الهداية الكبرى، الشيخ الخصيبي (ت٣٣٤)، مؤسسة البلاغ، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١١ هـ.

الفهرس

الإهدَاء ١٣

الفصل الأول: لِمَ جَفَوْتَنِي ١٥

وَسَقَطَتِ الـهُدْنَةُ (هُجُومُ الرُّومِ) ١٩

مَعْرَكَةُ عَمُّورِيَّةَ ٢٠

وِشَايَةُ الثَّغْرِ ٢٣

صراعٌ داخلَ صراعٍ ٢٥

مُفَاجَأةُ القيصَر ٢٧

ما وراءَ الظَّاهِرِ؟! ٢٨

التَضحِيةُ بالأميرة ٢٩

موقفُ الأميرةِ ٣١

عَذرَاءٌ تُسَاقُ نَحْوَ الـمجْهول! ٣٢

قِدِّيسَةٌ وشَيْطَانٌ ٣٢

خارجَ القصرِ ٣٣

دَاخِلَ القَصْرِ ٣٤

عَقدُ القِران ٣٥

حَدَثٌ لم يكُنْ في الـحسبَان! ٣٦

دَهاءُ البطريك! ٣٧

تَطَيُّرُ الـمَلِكِ! ٣٨
الأميرُ الثَّانِي ٣٩
نُجُومُ الليل ٤٠
قَدَرُ الرب ٤١
لَيْلَةَ رَأَت المَسِيحَ عليه السلام ٤٢
ضُرِبَ صَدْرِي بِمَحَبَّةِ أَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام ٤٤
لو كَشَفْتَ العَذَابَ ٤٥
تَعَلَّقَتْ بِأَذْيَالِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام ٤٦
لا يَزُورك! ٤٧
غَطَسَتْ في الغُرُوبِ ٤٨
لِـمَ جَفَوتَنِي يَاحَبِيبي؟! ٤٩
عَرْشُ الطَّهَارَةِ ٥٠
أعشَاشُ الطُيورِ ٥٠
رِحْلَةُ القِدِّيسِينَ ٥١
على مَذْبَحِ القَرَابِين! ٥٣
أمِيراتُ آلِ محمدٍ عليهن السلام ٥٣
الْوُقُوعُ فِي الْأَسْرِ ٥٤
وَاهَتْكَ سِتْرَاه! ٥٦
المَصِيرُ الـمَجْهُولُ ٥٧
نهَايةُ القَيصَر ٥٨

الفصل الثاني: أخطَرُ الأسْرارِ ٦١
قَارِبُ السَّبْيِ ٦٥
طارقُ اللَّيْلِ ٦٦
رسالةٌ بالروميَّةِ ٦٩
ما الحيلةُ؟ ٧٠
عِنْدَ شَاطِئِ النَّهْرِ ٧٢
أَتَلْثِمينَ كتاباً؟! ٧٣
أَعِرْنِي سَمْعَكَ! ٧٤
سِرّ مَعرِفتِها بالعَرَبيّة ٧٦
الطَّرِيقُ إلى سامراءَ ٧٦
بُشْرَى بِشَرَفِ الأبَدِ! ٧٨
غَايَتُهَا مِن السُّؤال ٨٠
هَا هِيَهْ! ٨٣
لقاءٌ غيرُ مُرْتَقَبٍ.. ..... ٨٤
راحةُ الأولياء ٨٥
إِيَّاهُ تَطلبُ الأمَمُ ٨٦
لَعَلَّكَ هَوَيْتَهَا ٨٨
أحبَّ أَنْ يُشرِكَكِ في الآجرِ ٩٠
زواجٌ وَسْطَ أمواجِ المخاطِرِ ٩١
الفصل الثالث: طُيُورٌ تُرَفْرِفُ ٩٣
درسٌ من السيدةِ حكيمَةَ ٩٧

قُرْبَانُ سرِّ الله ٩٩
قَدْ أَحْدَثَ اللهُ فِيكَ أَمْراً ١٠٠
مَا هُوَ ذَاكَ الأمرُ؟! ١٠١
الأعينُ الآئِمَةُ ١٠٢
اشتدادُ الطَّلَبِ ١٠٣
تَشَابُه الولادَتَينِ ١٠٤
إفطَارِكِ اللَّيلَةَ عِندَنَا ١٠٦
بَلْ أَنْـتِ سَيِّـدَتِي ١٠٦
البِشَارةُ ١٠٧
نَشْوَةُ الخَبَـر ١٠٨
لَا تُنْكِرِينَ مَا فَعَلْتُ ١٠٩
الليلةُ الـموعودةُ ١١٠
أَثَر النُّورِ ١١٣
الطَّيْرُ تُرَفْرِفُ عَلَى رَأْسِهِ ١١٥
انْطِقْ بِقُدْرَةِ الله ١١٦
عند سُرَادِقِ العَرْشِ ١١٨
يضحكُ ويناجي ١٢١
عَقِيقَةٌ بمئاتِ الذَّبَائِحِ ١٢١
نَشْأَةُ الأَوْلَادِ إِذَا كَانُوا أَئِمَّةً ١٢٢
نِهَايَةُ الأَمِيرَةِ المُقَدَّسَةِ ١٢٤
لَوحٌ على القبرِ ١٢٤

الْإِنْتِقَامُ مِنَ الْأَمِيرَةِ الْمُقَدَّسَةِ ١٢٥
ابْنُ الأَمِيرَةِ ١٢٦
الـمُخلِّصَان ١٢٨
الملحق (١): وَقفةٌ لابُدَ مِنْها ١٣١
رُؤْيَا أُمَّهَاتِ الـمَعْصُومِينَ وَغَيرِهِنَّ ١٣٣
كَمَا تُكْفَأُ السُّفُنُ ١٣٥
اجتمعنا على رجل ١٣٦
الملحق (٢): قصةٌ من كراماتِ الأمِيرَة الـمُقَدَّسَة ١٣٩
أولاً: من كَرَاماتِ الأَميرةِ الـمُقدَّسة ١٤١
ثانياً: كَيفِيَّةُ التَّوَسُّلِ للهِ تَعَالى بِهَا عَنْ طَرِيقِ زِيَارَةِ عَاشُورَاء ... ١٤٣
الملحق (٣): زيارةُ الأمِيرةِ الـمقدَّسَة ١٤٥
في كَيفِيَّةِ زِيارَتِها الشَّرِيفَةِ عليها السلام ١٤٧
فهرس الـمصادر ١٥١
الفهرس ١٥٧